الأنوار

مجلّة إسلامية، ثقافية، دعوية، علمية
تصدرها جامعة أنوار العلوم خيرآباد، تاياد
الرقم 3/ ذوالحجة 1434

إبراهيم (عليه السلام) و بيت الله الحرام

الإمام مسلم من نوابغ خراسان و أئمة الحديث

هل يسوغ تأويل آيات و أحاديث الصفات

مكانة الجامعات الدينية و رسالتها

إذا صح الحديث فهو مذهبي

التقليد في ضوء القرآن و السنة

الدنيا عابرة، عليك بالآخرة

الحج شعار الوحدة

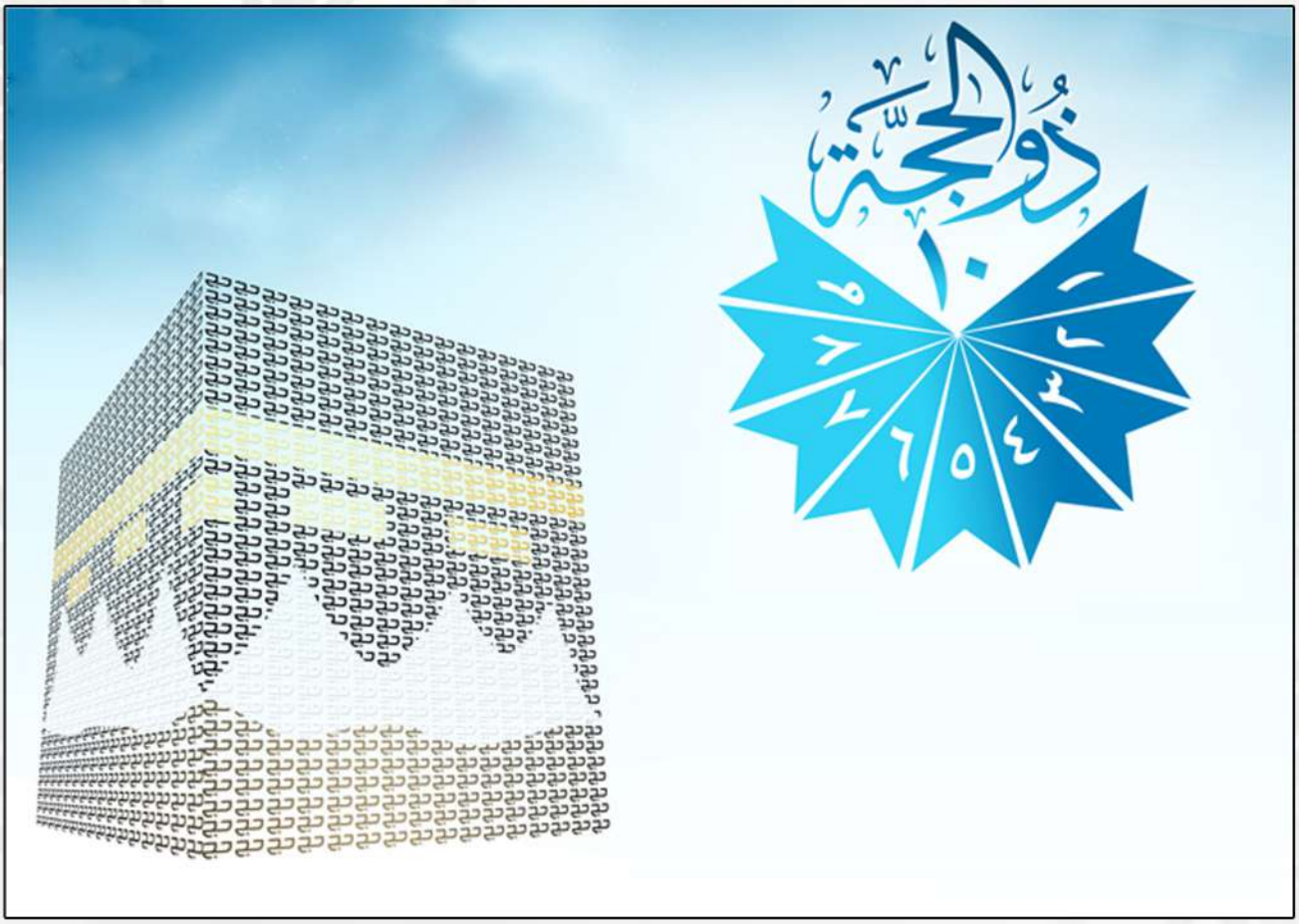

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

« من حج للّه فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» {رواه البخاري في صحيحه}

مجلّة الأنوار
مجلّة إسلامية، ثقافية، دعوية، علمية
تصدر من جامعة أنوارالعلوم خيرآباد ـ تايباد

المشرف العام:
سماحة المفتي غلام أحمد علي بائي

رئاسة التحرير:
الأستاذ عبدالواحد المؤمني (علي بائي)

المراسلات:
إيران ـ تايباد ـ خيرآباد ـ جامعة أنوارالعلوم ،
مجلة الأنوار.

الموقع :
WWW.ANVARWEB.NET
Email:
al-anvar@anvarweb.net

في هذا العدد

إبراهيم وبيت الله الحرام/ العلامة الداعية أبوالحسن الندوي رحمه الله..... ٢
الإمام أبوحنيفة رحمه الله بطل الحرية و التسامح/إبراهيم يوسف بور..... ٤
رياح النصر/محمود بن سعود الحليبي الإحساء..... ٦
هل يسوغ تأويل أحاديث وآيات الصفات/مجتبى أمّتي..... ٧
مدرسة التصوف ومكانته في الإسلام/محمود ميرسروري..... ١١
إذا صحّ الحديث فهو مذهبي/عبدالغفار ميرهادي..... ١٢
فنّ إلقاء الخطاب/حمزة خالدي نسب..... ١٤
التقليد في ضوء القرآن والسنّة/علي رسولي ١٦
مكانة الجامعات الدينيّة ورسالتها/الطالب قاسم حسيني ٢١
مصطلحات أدبية/حمزة خالدي نسب..... ٢٢
الحج شعار الوحدة/الطالب دين محمد محمد آلق..... ٢٧
تاريخ الحجر الأسود وفضائله/الطالب عبدالكريم حسيني..... ٣٠
الإمام مسلم النيسابوري من نوابغ خراسان وأئمّة الحديث/الطالب محمد نوري..... ٣٢
الطالب المثالي/الإعداد:الطالب عارف شيخ جامي..... ٣٦
الدنيا عابرة، عليك بالآخرة/الطالب عبدالمجيد خداداديان ٣٨
فتاوى الأنوار/حسين فقهي..... ٣٩
روائع من أدب العرب/..... ٣٩
من درر الكتب/الطالب محمد نوري..... ٤٠

إبراهيم عليه السلام وبيت الله الحرام

الكاتب العلامة الداعية الإمام أبوالحسن الندوي

حديثنا اليوم حديث عن عصرٍ قد مضى عليه بضعة آلاف من السنين، عصر عريق في القدم ولكن لم يخلّف عصر من العصور الماضية من الآثار الباقية الخالدة على وجه البساطة، وفي أعماق النفوس، وأغوار القلوب، وجذور العقيدة، وصفحات الحضارة مثل ما خلّف هذا العصر، إنّه عصر كثرت فيه الدول والحكومات، وازدهرت فيه المدنيات والحضارات، وقامت فيه القصور الشامخة، والأبنية الباذخة، فلكلّ أمّة دولة، ولكلّ دولة عاصمة، ولكلّ ملك «بلاط» ولكلّ أمير قصر، ولكلّ إله وآلهة معبد، ولكلّ كوكب «هيكل»، عصر قد قامت فيه دولة الآلهة والكواكب، ونفقت فيه سوق الكهانة والسدانة، ولكنّه عصر قد تجرّد عن شيء واحد، تجرّد عن رجل مؤمن شجاع يقول بملء فيه، وبأعلى صوته: «ألا لله الدين الخالص» وتجرّد عن مركز روحي لا يعبد فيه إلا الله، ولا يدعى منه إلا إلى الله، مركز يجتمع حوله المؤمنون الموحدون في أنحاء العالم، وتتفجّر منه عين الإيمان والتوحيد، فيفيض في سهول الأرض وحزونها، وفي أغوارها وأنجادها.

لبيك لا شريك لك لبيك

لقد وجد هذا الرجل المفقود في شخص إبراهيم: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»{النحل:١٢١-١٢٠} رجل أكرمه الله برسالته، واصطفاه بخلّته «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» {النساء:١٢٥} ثم أمره أن يبني له بيتاً يظلّ مركزاً روحياً للإيمان، والتوحيد، وعبادة الله وحده، والدعوة إلى الله، ومثابة للناس وأمناً.

ولكن أين يقوم هذا البيت؟ إنّ الحواضر والعواصم الّتي تزدهر فيها المدنيّة، ويكثر فيها الخصب، وتنفق فيها التجارات، ويجذب إليها جمال الطبيعة، وزينة الصناعة كثيرة، ولكن اقتضت حكمة الله أن يقوم هذا البيت في وادٍ غير ذي زرع، لا طبيعة فيه، ولا صناعة، فلا يشدُّ الرحالَ إليه إلا المؤمنون الموحّدون، ولا يقصده من أنحاء العالم إلا المخلصون المتجردون، ووقعت الخيرة على مكّة الّتي لا ماء فيها، ولا كلأ، ولا زرع فيها، ولا ضرع، واد ضيّقٌ بين جبال سودٍ جرداء، لا طبيعة تغري، ولا صناعة تستهوي، ولا تجارة تشوق « وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» {الحج:٢٦}

لقد أتمّ إبراهيم عمله في صدق، وإخلاص، وحماسة، وإيمان، وشاركه في ذلك ولده المؤمن المخلص نبيّ الله إسماعيل بن

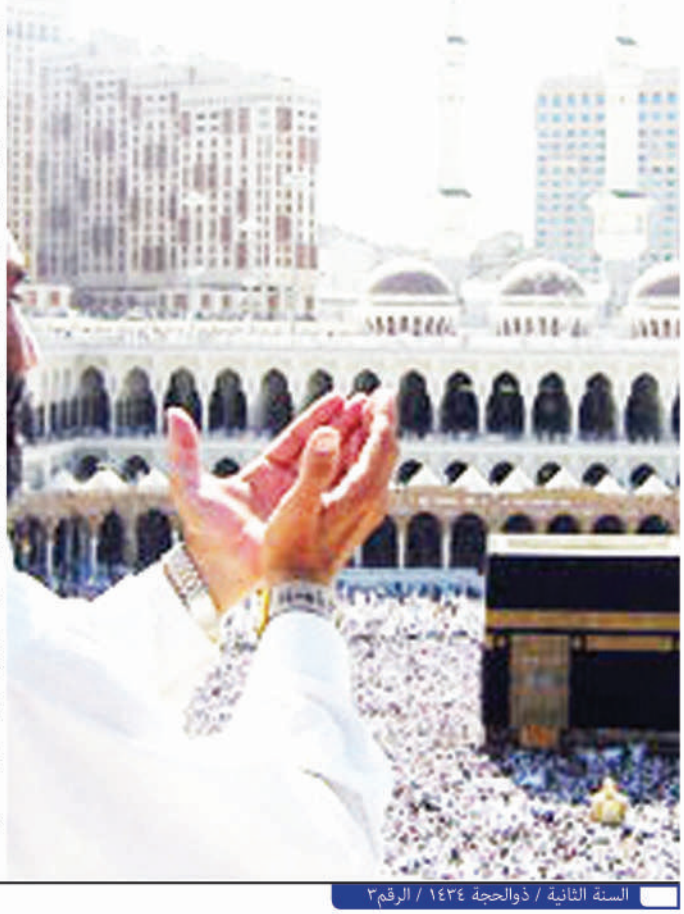

إبراهيم «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»{البقرة:١٢٧}

لقد قام هذا البيت كما أراد الله، واجتمع حوله كلّ ما يزهد الناس في السكنى حوله، وقصده من أنحاء بعيدة، ومن أقاصي البلدان، فلا تجارة، ولا صناعة، ولا عذوبة ماء، ولا رقّة هواء، ولا حسن مظهر، ولا جمال منظر، ولكنّ الله قد قضى أن يكون هذا البيت هو البيت الوحيد الّذي يبقى على طول الزمان، ويقصد على بعد المكان، لا يضارعه في ذلك قصر ملكيٌّ، ولا معبد دينيٌّ، يسعى إليه الناس بشقّ الأنفس، وعلى الأقدام والأرؤس، وتأتيه الوفود كلّ عام من أقصى المعمورة «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ* ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ»{الحج:٢٧ـ٢٩}

لقد أصبح هذا البيت الكريم شعاراً لله تعالى، وحرمة من حرماته، ورمزاً للتوحيد والعبادة، فمن عظَّمه؛فقد عظم حرمات الله، ومن أهانه؛ فقد أهان شعائر الله، وإنّ أعظم رسالة بهذا البيت هي رسالة التوحيد الّذي قام على أساسه، فليحافظ على ذلك، وليتفهمه كلّ من قصده، وطاف حوله، ونسك، وذبح « ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» {الحج:٣٠ـ٣٢}

لقد أحبّ الله النسك وإراقة الدماء في الذبح في هذه الأيّام؛ لأنّه عبادة وشعارٌ من شعائر التوحيد «وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» {الحج:٣٦} ولكنّه يقرّر أنّ روح هذا النسك والذبائح والأضاحي هو إرادة وجه الله، وامتثال أمره، وتوحيده، ليست هذه الدماء المهراقة واللحوم المبضعة «لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ»{الحج:٣٧}.

الإمام أبو حنيفة رحمه الله
بطل الحرية و التسامح

الكاتب إبراهيم يوسف بور

أردت في هذه المقالة هذه أن أتضوع بذكر ملامح حياة الإمام المجاهد أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ وما أحسن قول الشاعر: أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره/ هو المسك كلما كررته يتضوع.(فقد نسب هذا البيت إلى الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ)

إن الدافع الذي دفعني لتسويد وجه البيضاء من القرطاس هو أنني رأيت بعض الإخوة من أبناء الأمة يقعون في السلف الصالح بالسبّ والشتم مع أن الواجب علينا أن نكون مؤدبين معهم وننظر إليهم بعين الاحترام والتكريم ونقدّم لهم الشكر الجزيل ونذكرهم وندعو لهم بالخير والرحمة حيث حفظوا للأمة الإسلاميّة تراثهم الديني والإسلامي، وامتنّوا على الأمة بجهودهم الجبّارة لإرشادهم نحو الصلاح والكمال في الدنيا والآخرة.

فنلقي نظرة عابرة على الأمة الإسلاميّة وما أتت عليها على مرّ الدهور وكرّ الزمن، ثمّ نقدّم لمحات من سيرة الإمام الفذّ أبي حنيفة رحمه الله وثناء السلف الصالح عليه.

منذ أمد بعيد، أي حينما طفق تهبّ الروائح الإيمانيّة في القرن الأول من طلوع فجر الإسلام، بدأ الحاقدون للإسلام والمسلمين بزرع الخلافات والصراعات بين المسلمين لتشيع الفاحشة فيهم،أنهم أرادوا بهذه المخططات السيئة، والمؤامرات الشنيعة قطع شجرة الإسلام وقمع حصاده ولكن يأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون. ما زالوا ولا يزالون يسمّمون أفكار شباب الأمة ويغسلون أدمغتهم بأقاويلهم الشيطانيّة ويدسّون السمّ في الدسم ويقدّمون لهؤلاء الشباب فقاموا بتأجيج الفتن بين المسلمين وبذروا بذور الفساد والإلحاد فيهم، و ثأروا وتآمروا عليهم وقعدوا لهم بالمرصاد وغزوهم عسكريًّا وفكريًّا ولم يألوا جهداً في ذلك. وكل هذه المؤامرات مسجّلة في التاريخ كما حدث في القرن الأول حيث استشهد الخليفة شهيد الدارعثمان ـ رضي الله عنه ـ مظلوماً محتسباً في بيته وهو إمام المسلمين في عصره. وكذلك استشهد شهيد المحراب سيّدنا عمر رضي الله عنه وسيّدنا علي رضي الله عنه وما حدث في كربلا لريحانة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم الخ...

وفي القرن الماضي أزالوا الخلافة الإسلاميّة العثمانيّة (للأتراك) وغير ذلك من المصائب وكل ذلك صدرت من يد عدوّ لدود وحقود وهو اليهود الذي تولّى كبر هذا العدوان والتعدّي والاحتلال، فعليكم البحث في هذا المجال من ثنايا الكتب التاريخيّة، لأنّ حديثه يطول في هذا المقال.

والآن ألفت أنظاركم بما تعاني الأمة الإسلاميّة في عصرنا الحديث من المآسي المريرة والكوارث المفجعة والمصائب المؤلمة التي عكّرت صفو الحياة الإسلاميّة فتبلّدت في سماءها غيوم مظلمة فقد طال أمدها وكلٌّ ينتظر زوالها، وأصبح الحديث عن الهدم والتفجير والتقتيل والتشريد، حديث المحافل وشغل الناس الشاغل وعنوان أخبار الصحف والقنوات الفضائيّة ساعة وساعة.

واحترقت الأمّة الإسلاميّة في النيران المندلعة وليس هناك أي محاولة عمليّة بناءة لإنقاذها، وأيضاً ممّا تعانيه الأمّة الإسلاميّة بأجمعها هو بث سموم الحقد والطعن والشتم لصفوة مختارة من رجال هذا الدين الّذين شهد لهم الرسول صلّى الله عليه وسلّم بالخير حيث قال:«خير القرون قرني ثمّ الّذين يلونهم ثمّ الّذين يلونهم» {مسند البزار ٤٥٠٨} فهم الذين بذلوا النفس والنفيس والغالي والرخيص في سبيل ما يرضي الله ورسوله، لم يبالوا في أمرهم عدواً، ولم يخافوا في الله لومة لائم، وقالوا كلمة الحق عند سلطان جائر، وذابوا كالشمعة وأضاءوا الدرب للأمة الإسلاميّة ورفعوا ستار الظلام عنهم وعن سائر الناس، فقد ازدهر تاريخنا

المجيد بجهودهم المبذولة وأثبتوا الجدارة للإسلام، ولعلّنا لا نعدو الحقيقة إن قلنا: أنّ هؤلاء بدور الهداية، ونجوم الدراية والرواية، وكأنّهم القناطير المقنطرة في العلم والأدب والعرفان وهم جسور تربط آخر هذه الأمّة بأولها ومن أراد نقضها فقد نقض الإسلام والمبادي الإسلاميّة.

كل من تتبّع تاريخ الأمم السالفة والقرون الغابرة ما شاهد أمثال هؤلاء الرجال رضي الله عنهم أجمعين فأحسن ما قال الشاعر:

أولئک آبائي فجئني بمثلهم/ إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فأولئک الغوّاصون أخرجوا اللؤلؤ والمرجان من مصادر الشريعة (القرآن والسنة) وسهّلوا المشي على ضوء القرآن والسنّة لأبناء هذه الأمّة، جزاهم الله عنّا وعن سائر المسلمين خير الجزاء.

من هؤلاء الروّاد بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم الأئمّة الأربعة رحمهم الله وهم الّذين ضحّوا حياتهم في سبيل نشر الإسلام ومهّدوا الطريق لمستقبل هذه الأمّة كي يسيروا على نهج قويم عريق تجاه ما يعتري لهم في حياتهم الفرديّة، والإجتماعيّة، والعباديّة، والسياسيّة، وحقّقوا الإيمان في نفوس الشعب الإسلامي بكل معانيه، وسابقوا إلى الخيرات، ومارسوا العمل الصالح بكلّ أنواعه، وحرصوا، وحرّضوا على أنواع البرّ، وزرعوا حبّ الله ورسوله في قلوب الأمّة الإسلاميّة، وأحيوا جميع جوانب الحياة الإسلاميّة، ومالوا عن خوض الشهوات والميول النفسانيّة وزخارف الحياة الدنيا، فصاروا قدوة وإماماً في الدين، واقتدى الناس بهم في أمورهم الدنيويّة، والأخرويّة، وما يتعلق بهما.

فالآن نريد أن نعطف عنان القلم إلى جانب آخر هو عرض نبذة من حياة بطل الحريّة والتسامح النعمان بن ثابت المكنّى بأبي حنيفة ـ رحمه الله ـ بدر من البدور البازغة التي طلعت في خير القرون وأشرقت ولا يزال تشرق في سماء البشريّة بمساعيه المباركة وهو بحر زاخر ولا حرج فيما حدّثت عنه.

أبو حنيفة الإمام الأعظم، فقيه العراق، النعمان بن ثابت بن زوطا التيمي مولاهم الكوفي: مولده سنة ثمانين، رأى أنس بن مالك غير مرة لما قدم عليهم الكوفة رواه ابن سعد عن سيف بن جابر أنه سمع أبا حنيفة يقوله. وحدث عن عطاء ونافع وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وعدي بن ثابت وسلمة بن كهيل وأبي جعفر محمد بن علي وقتادة وعمرو بن دينار وأبي إسحاق وخلق كثير.

تفقه به زفر بن الهذيل وداود الطائي والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن وأسد بن عمرو والحسن بن زياد اللؤلؤي ونوح الجامع وأبو مطيع البلخي وعدة. وكان قد تفقه بحماد بن أبي سليمان وغيره وحدث عنه وكيع ويزيد بن هارون وسعد بن الصلت وأبو عاصم وعبد الرزاق وعبيد الله بن موسى وأبو نعيم وأبو عبد الرحمن المقري وبشر كثير وكان إماما ورعا عالما عاملا متعبدا كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان بل يتجر ويتكسب.

قال ضرار بن صرد: سئل يزيد بن هارون أيما أفقه: الثوري أم أبو حنيفة؟ فقال: أبو حنيفة أفقه وسفيان أحفظ للحديث. وقال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس. وقال الشاقعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. وقال يزيد: ما رأيت أحدًا أورع ولا أعقل من أبي حنيفة. وروى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن يحيى بن معين قال: لا بأس به، لم يكن يتهم ولقد ضربه يزيد بن عمر بن هبيرة على القضاء فأبى أن يكون قاضيا. قال أبو داود رحمه الله: إن أبا حنيفة كان إماما.

وروى بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال: كنت أمشي مع أبي حنيفة فقال رجل لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال: والله لا يتحدث الناس عني بما لم أفعل، فكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعا. قلت: مناقب هذا الإمام قد أفردتها في جزء. كان موته في رجب سنة خمسين ومائة رضي الله عنه.(١)

منثورات من أقوال العلماء فيه

ذكر الخطيب البغدادي في كتابه قال: أخبرنا البرقاني، حدثنا أبو العباس بن حماد لفظاً، حدثنا محمد بن أيوب، أخبرنا أحمد بن الصيّاح قال:سمعت الشافعي ـ محمد بن إدريس ـ قال: قيل لمالک بن أنس:هل رأيت أباحنيفة؟قال: نعم، رأيت رجلاً لو كلّمک في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته.

أخبرني التنوخي،حدثني أبي، حدثنا محمد بن حمدان، قال: حدثنا أحمد بن الصلت، حدثنا بشر بن الوليد، قال: سمعت أبا يوسف يقول: ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث ومواضع النكت التي فيه من الفقه، من أبي حنيفة.

أخبرنا الصيمري، أخبرنا عمر بن إبراهيم، حدثنا مكرم بن أحمد، حدثنا أحمد بن محمد بن مفلس قال: سمعت محمد بن سماعة يقول: سمعت أبا يوسف يقول: ما خالفت أباحنيفة في شيء قط فتدبّرته إلا رأيت مذهبه الّذي ذهب إليه أنجى في الآخرة، وكنت ربما ملت إلى الحديث وكان هو أبصر بالحديث الصحيح منّي.(٢)

قال محمد بن مسعر العوفي: سمعت يحيى بن معين يقول: كان أبو حنيفة ثقة لايحدث إلا بما حفظه.(٣)

عن أبي بكر بن عياش قال:«كان النعمان بن ثابت أفقه أهل زمانه، قال المزني وغيره: سمعت الشافعي، يقول:«الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه.

قال إسحاق بن بهول، سمعت ابن عيينة يقول: «ما مقلت عيني مثل أبي حنيفة».

قال بشر الحافي: قال الخريبي: «ما يقع في أبي حنيفة إلا جاهل أو حاسد».

قال أبو مسلم الكجي، عن محمد بن سعد الكاتب، عن الخريبي، أنه قال: «يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله لأبي حنيفة في صلاتهم».

وعن مكّي بن إبراهيم، قال: «كان أبوحنيفة أعلم أهل زمانه».

قال يحيى بن معين: سمعت يحيى بن سعيد القطان، يقول:لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة وقد أخذنا بأكثر أقواله».

قال يحيى بن أبي طالب، سمعت على بن عاصم، يقول:«لو وزن

علـم أبي حنيفـة بعلـم أهـل زمانـه لرجـح»

قـال ابـن حـزم: جميـع أصحـاب أبي حنيفـة مجمعـون علـى أن في مذهـب أبي حنيفـة ضعيـف الحديـث أولـى مـن القيـاس والـرأى.(٤)

لله درّ الشاعر حيث أنشد:

لقد زانَ الـبلادَ ومَن عليها/ إمـامُ المسلمين أبو حنـيفَه
بآثارٍ وفقهٍ مـــع حديثٍ/ كآيات الزَبُور على صـــحيفه
فما هي في المَشـرِقَين له نظيرٌ/ ولا في المغربين ولا بكوفَه
رأيتُ العائبين له سـفاها/ خِلافَ الحق مع حُجَج ضعيفَه
يبيتُ مشمـــرا سهـر الليالي/ وصـام نهاره لله حَيـــفَه
وصان لسانَه عن كـل إفكٍ/ وما زالت جـــوارِحُه عفيفه
يعِفّ عـــن المَحارِم والمَلاهي/ ومَرضاة الإلـه له وظيفَه
فمن كأبي حنيفة في نداه/ لأهل الفَقر في السنة الجحيفة
وكيـــف يحلّ أن يؤذَى فقيهٌ/ له في الـدين آثارٌ شريفـه
وقد قال ابن إدريسٍ مقالا/ صَحيحَ النَقل في حكمٍ لطيفه
بأنّ الناسَ في فِقهٍ عِيـالٌ/ على فقه الإمام أبي حنيفَه(٥)

قـال يحيـي كان أبوحنيفـة يقـوم الليـل كلـه حتـى تـوفي .(٦) وكان أبوحنيفـة عالمـا زاهـدا عابـدا ورعـا و تقيـا كثيرالخشـوع دائـم التضرع إلـى اللـه تعالـى .(٧) وقـال علـي بـن يزيـد الصرايـي رأيـت أباحنيفـة ختـم القـرآن في شـهر رمضـان سـتين ختمـة بالليـل وسـتين ختمـة بالنهـار.(٨) وعـن أسـد بـن عمـرو قـال صلـى أبوحنيفـة فيـما حفـظ عليـه صـلاة الفجـر بوضـوء صـلاة العشـاء أربعـين سـنة وكان عامـة الليـل يقـرأ القـرآن جميعـه في ركعـة واحـدة و كان يسـمع بـكاءه باليـل حتـى يرحمـه جيرانـه، وحفـظ عليـه أنـه ختـم القـرآن في الموضـع الـذي تـوفي فيـه سـبعة آلاف مـرة .(٩) فقـد دارالحديـث فيـما قلـت حـول المـآسي والكـوارث التـي واجهتهـا الأمـة في طريقهـا عـبر سـالف الأزمـان و الـصراع مسـتمر و النـزاع دائـم بـين الحـق والباطـل فعانـت الأمـة مـن الفـتن و النكبـات المريـرة التـي تقشـعر منهـا الجلـود ثـم ألقيـت ضـوءً علـى حيـاة عبقريـة مـن الجهابـذة الـذي تـلألأ في سـماء العلـم و العبـادة و صـار منـاراً و قـدوة في اتبـاع الخـير و نـشره و هـو أبوحنيفـة النعمان-أسـكنه اللـه في فسـيح جنانـه- فأقـدم نصحـي الخالـص لإخواني المسـلمين في كل البـلاد آمـلاً أن نجمـع شـملنا و نكـون كرجـل واحـد و نشـد بعضنـا أزر بعـض و نقـوم أمـام الأعـداء الألـداء (الصهيونيـة و الشـيوعية و الصليبيـة) الذيـن جـرّوا عـلي الإنسـانية الشـقاء و ويـلات و أن نقـدم للسـلف الصالـح أحسـن صـلاة و سـلام و نسـأل اللـه لهـم أعلـى الدرجـات في أعلـى عليـين و الفـردوس فالأمـة في أمـسّ الحاجـة إلـى أن تسـعى لإيجـاد حلـول جذريـة لمشـاكلها حتـى تسـتطيع مقاومة أعدائهـا، فـإن تنـصروا اللـه ينصركـم و يثبـت أقدامكـم.

١.تذكرة الحفاظ،ج١ص١٦٨
٢.تاريخ بغداد، ج١٣ص٣٣٨
٣.تهذيب التهذيب،ج ٥ ص٦٣٠
٤.مناقب الإمام أبيحنيفة للذهبي ص٢٩
٥.الوافي بالوفيات، ج٢٧ ص٩٢
٦.تاريخ بغداد، ج٣ ص٣٥٥
٧.وفيات الأعيان، ج٣ ص٢٠٢
٨.تاريخ الخميس،ج٢ ص٣٢٨، انظر تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٥١
٩.الطبقات السنيّه، ج١ ص٩٩، انظر البداية و النهايةج١٠ ص٣٤٨

رياح النصر

يا رياح النصـــر هـبي
وارفـعـــي عنّا الغمام
نامـــت الآســاد فينا
والمـــآسي لا تنـام
قد يئسـنا الذل يسري
في دمـانا والعظام
ومللنـــا الجبن أدمي
عزنا صـوت السـلام
من لأطفـــال يتامي
ولأشيـــاخ تضـــام
من لأعـــراض الصبايا
بين هاتيك الطغام
مـــن لأرواح البـــرايا
خلف قضـــبان اللئام
من لـــدين الله جمـرا
وسـط أكفاف الكرام
ليس يجدي الصمت فينا
لا ولا يجـدي الكـلام
لم يعـــد للقـــول وقـع
لم يعـــد إلا الحسام
يا رياح النصـــر هبّي
نحن لا نخـشى الحمام
نحن لا نرضـي حياة
فوق شبـــر مستضام
إن عرفنا الله حقـــا
وانطلقنا لـــلأمام
سوف يأتي النصـر حتما
من عـــزيز ذي انتقام

(محمود بن سعود الحليبي-الإحساء)

هل يسوغ تأويل أحاديث وآيات الصفات؟

الكاتب: مجتبى أمتي

المقدّمة:

من المباحث المهمّة المعنيّة في العقيدة هي مبحث الصفات المتشابهات الواردة في الكتاب والسنة من قبيل العين واليد والساق والوجه والأصابع والرضا والغضب والنسيان والاستواء وغيرها والتي صارت من قديم الزمن مثار الجدل والنقاش وكثرت القالة والقيل فيها وارتفع الضجيج والأصوات لأجلها وحار بعض الناس فيها فضلّوا وأضلّوا واهتدى فريق إلى الصواب والسداد ووجدوا الطريق الأسلم فنجوا عن الهلاك وهُدُوا إلى الرشد، فلأهمّية الموضوع ومكانته في العقيدة وحاجة الإخوان المسلمين في زماننا هذا إلى العلم الصحيح الموافق للشريعة الغرّاء والسلف الصالح نتصدّى في هذا المقال الموجز لبيان أهمّ المسائل في الصفات المتشابهات وهي كما يلي:

ما هي العقيدة الصحيحة فيها؟ ومن هي الفرقة الناجية؟ ومن هم الفرق الضالّة؟ وهل يجوز تأويل هذه الصفات عند الضرورة فراراً عن التجسيم والتشبيه أو نتركها كما هي ولو أدّى ذلك إلى إيهام النقص في ذات الله وفي كتاب الله؟

الفِرَق الضالّة:

المشبّهة: وهم فرقة أثبتوا لله الجسم، وقال بعضهم: إنّ معبودهم جسم، ولحم، ودم وله جوارح وأعضاء من يدٍ، ورجل، ورأس، ولسان، وعينين، وأذنين ومع ذلك جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات وهو لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيءٌ .(١) وأنّهم أجازوا على ربّهم الملامسة والمصافحة وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حدّ الإخلاص والاتّحاد المحض.

وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي وأكثرها مقتبسة من اليهود، فإنّ التشبيه فيهم طباع حتّى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتّى رمدت عيناه.

الكراميّة أو المجسّمة: وهم أيضاً فرقة توهّموا الله جسماً له جسم وحدٌّ ونهاية من تحته.

نصّ أبو عبدالله(وهو من الكراميّة) على أنّ لمعبوده على العرش استقراراً وعلى أنّه بجهة فوقه ذاتاً وأطلق عليه اسم الجوهر، ومنهم من قال: إنّه على بعض أجزاء العرش، وقال بعضهم: امتلأ العرش به، وصار المتأخّرون منهم إلى أنّه تعالى بجهة فوق وأنّه محاذٍ للعرش؛ ثم لهم اختلاف في النهاية له من ستّ جهات، ومنهم من أثبت له من جهة تحت ومنهم من أنكر النهاية له فقال: هو عظيم، وأطلق أكثرهم لفظ الجسم عليه والقاربون منهم قالوا: نعني بكونه جسماً أنّه قائم بذاته، وهذا هو حدّ الجسم عندهم.(٢)

فكلّ من أثبت لله تعالى ما أثبت هؤلاء الضلال من الجسميّة والشبه ضالٌّ غاوٍ ونحن نتبرّأ من رأيه واحتجاجاته السخيفة، ونكل أمره إلى الله.وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ج١٠/٦١١-٦١٠ في ترجمة نعيم بن حماد - ت ٢٢٩ - بعد أن ساق بسنده إليه قوله: من شبّه الله بخلقه فقد كفر(٣)، ومن الفرق الضالّة فرقة تجحد الصفات جحودا تامّاً لا نتطرّق لتفاصيل عقيدتهم ونكتفي بما قال فيهم «مجد بن أحمد المكّي» شارح العقيدة الإسلاميّة للعزّوز بعد أن ذكر كلام الذهبي في تكفير المشبّهة: قلت هذا الكلام حقٌّ، نعوذ بالله من التشبيه وإنكار أحاديث الصفات، فما ينكر الثابت منها من فَقِهَ، وإنّما بعد الإيمان بها مقامان مذمومان: تأويلها وصرفها عن موضوع الخطاب، فما أوّلها السلف ولا حرّفوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأمرّوها كما جاءت(٤).

الفِرقة الناجية:

للفرقة الناجية مذهبان يتّفقان في المآل والأهداف من عدم التشبيه وعدم النقص في ذات الله ويختلفان في الألفاظ والأشكال، ونبيّن كلا المذهبين مع أقوالهما وآراءهما واحتجاجاتهما الّتي تستند إلى الأدلّة القاطعة والبراهين الدامغة ممّا لا تدع ريباً ولا شكّاً بل تنير السبيل لمن يريد الاستيضاح والإبانة عن عقيدة الصفات وهل يجوز تأويلها أو لا يجوز؟ وهل أئمّتنا وعلماءنا عبر التاريخ الإسلامي قاموا بالتأويل أو تركوه؟! وهل يتّهم المؤوّل المنصف بالخروج عن الملّة والإسلام؟

مذهب السلف:

مذهب السلف هو عدم الخوض في أيّ تأويل أو تفسير لهذه النصوص، والاكتفاء بما أثبته الله لذاته مع تنزيهه عزّ وجلّ عن كلّ نقص ومشابهة للحوادث، وسبيل ذلك التأويل الإجمالي لهذه

النصوص، وتحويل العلم التفصيلي بالمقصود إلى علم الله؛ أمّا ترك هذه النصوص على ظواهرها دون أيّ تأويل لها، سواء كان إجمالياً أو تفصيلياً فهو غير جائز، وهو شيء لم يجنح إليه سلف ولا خلف. كيف ولو فعلت ذلك لحمّلتَ عقلك معاني متناقضة في شأن كثير من هذه الصفات. فقد أسند الله إلى نفسه العين بالإفراد في قوله تعالى «وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي » {طه،٣٩} وأسند مرّة أخرى إلى نفسه الأعين بالجمع فقال: «واصبر لحكم ربّك فإنّك بأعيننا» {الطور،٤٨} فلو ذهبت تفسِّر كلّاً من الآيتين على ظاهرها دون أيّ تأويل لألزمت القرآن بتناقض هو منه بريء؛ وتقرأ قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» {طه:٥} وقوله:«ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» {ق:١٦} فإن فسّرت الآيتين على ظاهرهما دون أي تأويل إجماليٍّ ألزمت كتاب الله بالتناقض الواضح، إذ كيف يكون مستوياً على العرش وبدون أي تأويل، ويكون في الوقت نفسه أقرب إليّ من حبل الوريد بدون أيّ تأويل؛ وتقرأ قوله تعالى:«أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور»{ملك:١٦} وقوله: «وهو الّذي في السماء إله وفي الأرض إله» {الزخرف:٨٤} فلئن فسّرتهما على ظاهرهما أقحمت التناقض في كتاب الله كما هو واضح، ولكنّك عنما تنزّه الله حيال جميع هذه الآيات عن مشابهة مخلوقه في أن يتحيّز في مكان وتكون له أبعاد وأعضاء وصورة وشكل، ثمّ أثبتَّ لله ما أثبته هو لذاته على نحو يليق بكماله وذلك بأن تكل المقصود بكلّ من هذه الصفات إلى الله سلمت بذلك من التناقض في الفهم وسلّمت القرآن من توهّم أيّ تناقض فيه وهذه هي طريقة السلف رحمهم الله.

ألا تراهم يقولون عنها: أمّروها بلا كيف، إذ لو لا أنّهم يؤوّلونها تأويلاً إجمالياً بالمعنى الّذي أوضحنا لما صحّ لهم أن يقولوا ذلك، إذ لماذا يُمرّونها بلا كيف، ودلالة اللغة والصياغة العربية واضحة تمنع كلّ لبس أو جهل، سواء في أصل المعنى أم كيفيّته، ولكنّهم أيقنوا أنّ الأمر ليس على ظاهرها ما تدلّ عليه الصياغة واللغة بسبب ما دلّت عليه الآيات المحكمات الأخرى وهذا تأويل إجماليّ واضح إلّا أنّهم لم يقحموا أنفسهم في تفسير هذه النصوص بكيفيّات أخرى يلتزمونها وهذا هو التوقّف عن التأويل التفصيلي فتأمّل ذلك، فإنّه دقيق وهو الحقّ الذي لا ينبغي أن يلتبس عليك بغيره.(٥)

روي عن أمّ سلمة زوج النبيّ ـ رضي الله عنها ـ في قوله تعالى:«الرحمن على العرش استوى»{طه:٥} قالت: «الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به واجب والجحود به كفر»(٦).

قال سحنون: أخبرنا بعض أصحاب مالك أنّه كان عنده جالساً، فأتى رجلٌ فقال: ياأبا عبدالله، مسألة، فسكت مالك ثم أعاد عليه، فرفع رأسه كالمجيب له، فقال له السائل:«الرحمن على العرش استوى» كيف استواءه؟ قال: فطأطأ مالك رأسه ساعة، ثم رفعها فقال: سألت عن غير مجهول وتكلّمت في غير معقول، ولا أراك إلّا امرأ سوء، أخرجوه.

وسأله رجل آخر عن الاستواء فقال يا أبا عبدالله، « الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألة، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتّى علاه الرخصاء ـ يعني العرق ـ ثمّ رفع رأسه ورمى بالعود وقال: الكيف منه غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وأظنّك صاحب بدعة، وأمر به فأُخرِج.(٧)

وقال القرطبي: كان السلف الأوّل ـ رضي الله عنهم ـ لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافّة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابُه وأخبرت رسلُه.(٨)

روى أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنّة ٤٣٢/٣ عن محمّد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ـ رحمهما الله ـ قال: اتفق الفقهاء كلّهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث الّتي جاء بها الثقات عن رسول الله ـ عليه السلام ـ في صفة الربّ عزّ وجلّ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه وقال الترمذي تعقيباً على حديث أبي هريرة في كتاب صفة الجنّة٥٩٧/٤ {٢٥٥٧}: والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمّة مثل: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم، أنّهم رووا هذه الأشياء، ثمّ قالوا: تروى هذه الأحاديث ويؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الّذي اختاره أهل الحديث: أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسّر، ولا تتوهّم،ولا يقال: كيف؟ وهذا أمر أهل العلم الّذي اختاروه وذهبوا إليه(٩).

مذهب الخلف:

ومذهب الخلف الّذين جاءوا من بعدهم هو تأويل هذه النصوص بما يضعها على صراط واحد من الوفاق مع النصوص المحكمة الأخرى الّتي تقطع بتنزّه الله عن الجهة والمكان والجارحة، ففسّروا الاستواء في: «الرحمن على العرش استوى» {طه:٥} بتسلّط القوّة والسلطان، وهو معنى ثابت في اللغة ومعروف.

وفسّروا اليد في الآية الأخرى بالقوّة أو بالكرم، والعين بالعناية والرعاية، وفسّروا الإصبعين في الحديث بالإرادة والقدرة وقالوا عن حديث: «إن الله تعالى خلق آدم على صورته» أنّ الضمير راجع إلى آدم لا إلى ذات الله، أي أنّ الله خلق آدم منذ اللحظة الّتي أوجده فيه على صورته وهيئته الّتي كان يتمتّع بها فيما بعد، فلم يتطوّر من شكل إلى أخر، وقالوا أيضاً: ويحتمل فيه

أن يعود الضمير على الأخ، المذكور في صدر الحديث، حسب الرواية الّتي ساقها مسلم في صحيحه وهي: «فإذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإنّ الله خلق آدم على صورته» أي فليكرم الوجه الّذي هو مظهر لخلقة آدم ـ عليه السلام ـ أو الضمير عائد إلى ذات الله تعالى، وذلك كما تدلّ عليه الرواية الثابتة الأخرى: «إنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن»، ولكنّ الصورة بمعنى الصفة، أي جهّزه بصفات العلم والإدراك الّتي هي من صفات الله عزّ وجلّ.

واعلم أنّ مذهب السلف في عصرهم كان هو الأفضل والأسلم، والأوفق مع الإيمان الفطري المرتكز في كلّ من العقل والقلب. ومذهب الخلف في عصرهم أصبح هو المصير الّذي لا يمكن التحوّل عنه، بسبب ما قامت فيه من المذاهب الفكريّة والمناقشات العلميّة، وسبب ظهور البلاغة العربيّة مقعّدة في قواعد من المجاز والتشبيه والاستعارة.

وهكذا، فقد كان بوسع الإمام مالك ـ رحمه الله ـ أن يقول في عصره لذلك الّذي سأله عن معنى الاستواء في الآية: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. إذ كان العصر عصر إيمان ويقين راسخَين،بسبب قرب العهد بعصر النبوّة وامتداد الإشراق إليه. ولكن لم يكن بوسع الأمّة الذّين قاموا في عصر التدوين وازدهار العلوم واتّساع حلقات البحث وفنون البلاغة أن يسلّموا ذلك التسليم دون أن يحلّلوا هذه النصوص على ضوء ما انتهوا إليه من فنون البلاغة والمجاز، خصوصاً وإنّ فيهم الزنادقة الّذين لا يقنعهم منهج التسليم، ويتظاهرون بالحاجة إلى الفهم التفصيلي، وإن كانوا في حقيقة الأمر معاندين.

والمهمّ أن تعلم بأنّ كلاً من المذهبين منهجان إلى غاية واحدة، لإنّ المآل فيهما إلى أنّ الله لا يشبهه شيءٌ من مخلوقاته وأنّه منزّهٌ عن جميع صفات النقص، فالخلاف الّذي تراه بينهما خلافٌ لفظيٌّ وشكليٌّ فقط (١٠).

وفي هذا الصدد يقول الإمام البيهقي في «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث»: وأصحاب الحديث فيما ورد به من الكتاب والسنّة من أمثال هذا ـ حديث نزول الله في آخر الليل ـ من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين :

١ـ منهم من قبله وآمن به ولم يؤوله ووكل علمه إلى الله ونفى الكيفية والتشبيه عنه.

٢ـ ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد.(١١)

وهناك نشاهد قائمة من أسماء العلماء المشهورين وبعض الصحابة قاموا بالتفصيل الإجمالي الّذي لا يشوبه نقص، أو تجسيم، ويلائم التوحيد.

فمنهم بعض الصحابة، قال ابن تيمية: «إنّ جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، ثم قال:« وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا إلا في قوله تعالى {يوم يكشف عن ساق} فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدّوها في الصفات، للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيين، ولا ريب أن ظاهر القرآن يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: {يوم يكشف عن ساق} نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر.»(١٢)

الإمام التابعيّ الجليل المجاهد، تلميذ حبر الأمّة عبد الله بن عباس فقد تأوّل قوله تعالى:«خلقت بيدي» فقال: اليد بمعنى التأكيد والصلة مجازاً كقوله تعالى «ويبقى وجه ربّك».(١٣)

الإمام المبجّل أحمد صاحب المسند المشهور، فقد روى ابن كثير في البداية والنهاية «أنّ الإمام البيهقي روى عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل أنّ أحمد بن حنبل تأوّل قوله تعالى {وجاء ربّك} أنّه جاء ثوابه، ثم قال الإمام البيهقي:وهذا إسناد لا غبار عليه»(١٤)

الإمام البخاري، فقد أوّل قول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ :«يضحك الله إلى رجلين» قال:ضحكه: رحمته.(١٥)

ابن تيمية رجّح أن يؤوّل الوجه بمعنى الجهة في آية: «كلّ شيء هالك إلّا وجهه» فيكون المعنى كلّ شيء هالك إلّا ما أريد به جهة الله، ثمّ قال: وهكذا قال جمهور السلف.(١٦)

الإمام الشوكاني، فقد تأوّل كثيراً من آيات الصفات تأويلاً جليّاً، منها قوله تعالى: «تبارك الّذي بيده الملك» فقال: واليد مجاز عن القدرة والاستيلاء(١٧) ومنها قوله تعالى: «يوم يكشف عن ساق» فقال: عن شدّة الأمر(١٨) ومنها قوله تعالى: «ولا تطرد الّذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه» والمعنى: أنّهم مخلصون في عبادتهم لا يريدون بذلك إلّا وجه الله، أي يتوجّهون بذلٍّ إليه لا إلى غيره.(١٩)

ومنها قوله تعالى: «واصطنعتك لنفسي» الاصطناع: اتخاذ الصنعة، وهي الخير تسديه إلى الإنسان، والمعنى: اصطنعتك لوحيي ورسالتي لتتصرّف على إرادتي.(٢٠)

ومنها قوله: «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه» أي: إلى الله يصعد لا إلى غيره، ومعنى صعوده إليه: قبوله له أو صعود الكتبة من الملائكة بما يكتبونه من الصحف.(٢١)

الإمام ابن كثير الدمشقي تلميذ ابن تيميّة يؤوّل بعض الآيات المتشابهات؛ منها قوله تعالى: «والسماء بنيناها بأيد» أي: بقوّة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد.(٢٢)

وقوله تعالى: «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ» أي: هو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره.(٢٣)

وقوله تعالى: «أن تقول نفس يحسرتى على ما فرّطت في جنب الله» قال ابن كثير:أي: يوم القيامة يتحسّر المجرم المفرِّط في التوبة والإنابة ويودّ لو كان من المحسنين المخلصين لله عزّ وجلّ.(٢٤)

والإمام البغوي من أئمّة التفسير يعمد إلى تأويل آيات الصفات بدون تكييف وتجسيم، هو يقول في تفسير هذه الآية: «هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثمّ استوى إلى السماء فسوّهنّ سبع سموات وهو بكلّ شيء عليم» قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء. وقال ابن كيسان والفراء وجماعة من النحويين: أي أقبل على خلق السماء. وقيل: قصد لأنه خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء.(٢٥)

ويقول في آية « تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر» أي بمرأى منا، وقال مقاتل بن حيّان: بحفظنا، منه قولهم للمودّع: عين الله عليك، وقال سفيان: بأمرنا.(٢٦)

وأيضاً الإمام القرطبي يؤوّل آيات الصفات فيما يلي:

«وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ». قال عكرمة: إنما قال هذا فنحاص بن عازوراء وأصحابه، وكان لهم أموال فلما كفروا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قل ما لهم، فقالوا: إن الله بخيل، ويد الله مقبوضة عنا في العطاء، فالآية خاصة في بعضهم. وقيل: لما قال قوم هذا ولم ينكر الباقون صاروا كأنهم بأجمعهم قالوا هذا. وقال الحسن: المعنى يد الله مقبوضة عن عذابنا. وقيل: إنهم لما رأوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كان يستعين بهم في الديات قالوا: إن إله محمد فقير، وربما قالوا: بخيل، وهذا معنى قولهم: «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» فهذا على التمثيل كقوله: «وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ» ويقال للبخيل: جعد الأنامل، ومقبوض الكف، وكزّ الأصابع، ومغلول اليد، واليد في كلام العرب تكون للجارحة كقوله تعالى: «وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً» وهذا محال على الله تعالى. وتكون للنعمة، تقول العرب: كم يد لي عند فلان، أي كم من نعمة لي قد أسديتها له(٢٧)

«وجاء ربّك والملك صفاً صفاً» أي أمره وقضاءه؛ قاله الحسن. وهو من باب حذف المضاف(٢٨)

ما ذكرنا من تأويل هؤلاء الأعلام، الّذين بهم الثقة وعليهم الاعتماد في شتّى العلوم من الحديث والقرآن وغيرهما، يكون من أكبر الدلائل على أنّ التأويل الّذي لا يؤدّي إلى النقص في ذات الله، لا يلام عليه، بل هو المستحسن في كثير من المواضع؛ وبين هذا والتأويل المذموم فرقٌ كبير، لا يقف عليه إلا من أمعن النظر ودقّق الفكر وعلى هذا المنوال درج سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ كما شاهدنا في هذا المقال. ـ وآخر دعوانا أن الحمدلله ربّ العالمين ـ

١ـ الملل والنحل للشهرستاني بتصرف/ ص ٨٤ ـ ٨٥/ دار الفكر

٢ـ الملل والنحل بتصرف/ص٨٧ـ٨٨

٣ـ نقلاً عن العقيدة الإسلاميّة للعزّوز بشرح محمد بن أحمد المكّي/ص٨٩/ دار البشائر الإسلاميّة

٤ـ العقيدة الإسلاميّة للعزّوز/ص٨٩

٥ـ كبرى اليقينيّات الكونيّة للبوطي/ ص١٣٨ـ١٣٩ـ١٤٠/ دار الفكر

٦ـ نقلاً عن الدولة الزنكيّة للصلّابي/ص٤٥٤/دار ابن كثير، وقال في هامشه:هذا لم يرد في شيء من الكتب الستّة ولا المسند وإنّما ورد في كتب أخرى رواه اللالكائي رقم٦٦٣ موقوفاً عليها

٧ـ الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة/عبدالغني الدّقر/ص٢٩٢ـ٢٩٣/دار القاسم

٨ ـ تفسير القرطبي،٢١٩/٢ نقلاً عن العقيدة في ضوء الكتاب والسنّة٢٠٦/١لعمر سليمان عبد الله أشقر

٩ ـ نقلاً عن العقيدة الإسلاميّة للعزّوز/ص٩٠

١٠ـ كبرى اليقينيّات الكونيّة للبوطي/ص ١٤٠ـ١٤١

١١ـ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث/ ص٩٢/ دار الكتاب العربي

١٢ـ مجموع الفتاوى لابن تيميّة١٩٦/٦ /دار الكتب العلميّة

١٣ـ فتح القدير للشوكاني،١٢٧٢، دار المعرفة

١٤ـ البداية والنهاية، ٣٢٧/١٠، منشورات مكتبة العارف

١٥ـ فتح الباري،٣١/٦، دار إحياء التراث العربة

١٦ـ مجموع الفتاوى لابن تيميّة،١٨/٢ ، دار الكتب العلميّة

١٧ـ فتح القدير للشوكاني، ص١٥١٠، دار المعرفة

١٨ـ فتح القدير للشوكاني، ص٤٢١، دار المعرفة

١٩ـ فتح القدير للشوكاني، ص٩٠٩، دار المعرفة

٢٠ـ فتح القدير للشوكاني، ص١٥١٠، دار المعرفة

٢١ـ فتح القدير للشوكاني، ص١٢٠٧، دار المعرفة

٢٢ـ تفسير ابن كثير، ٢٥٤/٤، دار المعرفة

٢٣ـ تفسير ابن كثير،١٣٠/٢، دار المعرفة

٢٤ـ تفسير ابن كثير،٦٦/٤، دار المعرفة

٢٥ـ تفسير البغوي،٣٠/١، دار الكتب العلميّة

٢٦ـ تفسير البغوي،٢٣٧/٤، دار الكتب العلميّة

٢٧ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٣٨/٦، مؤسّسة التاريخ العربي

٢٨ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،٥٤/٢٠، مؤسّسة التاريخ العربي

مدرسة التصوف و مكانته في الإسلام

الحصة الثالثة

الكاتب: محمود ميرسروري

التصوّف هو العمل (١)

لا شكّ أنّ العمل بالأعمال الباطنيّة فريضة كما أنّ العمل واجب بالأعمال الظاهرة، وربما يتولّد فساد الظاهر من فساد الباطن، فنحن بحاجة شديدة إلى إصلاح الباطن ومعالجة نقائصه، ولكن قلّما يعرف الرجل نقائص النفس، وعلل الباطن، وقلّما يعرف الرجل طرق علاجها وإصلاحها، فيعسر حينئذ العمل.

فالإنسان يحتاج لإصلاحه إلى الشيخ الكامل، لإنّه هو الذي يعرف بهذه الأمور، ويعرف علاج نقائص الباطن، ومارس مداواتها، ويعلم أعمالاً وأشغالاً تستعدّ النفس للإصلاح والتزكية، ولكنّ كثيراً من الناس ظنّوا الإرادة، والشياخة، والبيعة لازمة التصوّف أو حسبوا البيعة الصرفة كافية وهي جهالة خالصة، لأنّ الغرض الحقيقي من الشياخة والإرادة هو إصلاح الأعمال الظاهرة والباطنة وعلى الأخص الأمراض النفسيّة.

فلو كان الشيخ والمريد مَعنِيّين بالإصلاح والعلاج عناية تامّة، فالبيعة التقليديّة الصرفة ليست بواجبة إذن، غير أنّ الإنسان كما يلتمس للأمراض الجسديّة طبيباً، حاذقاً، كذلك يجب الاعتناء بطبيب الباطن الذي يداوي الأسقام النفسيّة ولذلك لا بدّ من عرفان سِمات الشيخ الكامل وهي:

١ـ أن يحمل من العلم، القدر الذي لا غِنىً عنه.

٢ـ أن يكون محافظاً على الشريعة في العقيدة، والعمل، والخلق جميعاً.

٣ـ أن لا يكون حريصاً على الدنيا ولا يزعم لنفسه الكمال، لأنّه كذلك شعبة من حبّ الدنيا.

٤ـ ويكون قد قضى مدّة في صحبة شيخ كامل.

٥ـ وأن يحسن العلماءُ والمشيخةُ المعاصرون المنصفون الظنَّ به.

٦ـ أن يرغب إليه الخاصّة والعقلاء المتديّنون أكثر من العامّة.

٧ـ والّذين بايعوه كان أكثرهم أحسن حالةً من حيث الشرع وقلّة الحرص في الدنيا.

٨ـ يكون عطوفاً ومهتمّاً بحال مريديه في تعليمهم، وتلقينهم؛ وكلّما رأى فيهم سوءً أو سمعه، نعى عليهم ومنعهم منه، لا أن يدعهم على حالهم كيفما كان.

٩ـ الجالس في صحبته يشعر بالنقصان في حبّ الدنيا والزيادة والتقدّم في حبّ الله.

١٠ـ أن يكون ذاكراً شاغلاً بالله؛ إذ بغير العمل والعزيمة لا تحصل البركة في التعليم.

الشريعة والطريقة:

الشريعة اسم لمجموع الأحكام التكليفيّة، وهي يحتوي الأعمال الظاهرة والباطنة جميعاً وكان مرادفاً للفقه لدى المتقدّمين، كما أثر عن الإمام أبي حنيفة في التعريف بالفقه:«معرفة النفس ما لها وما عليها» ولم يزد الإمام «عملاً» لأنّه أراد الشمول، ثم جاء المتأخّرون فأصبح في مصطلحهم العنصر من الشريعة الذي يخصّ الأعمال الظاهرة فقهاً، وأمّا ما يخصّ الأعمال الباطنة من شعب الشريعة فصار تصوّفاً، فليعرف أنّ هذين ليسا بمتخالفين ولا متضادّين وأنّ التالي يكمل الأوّل.

ويقال لطرق هذه الأعمال طريقة، ثمّ ما يتولّد من الصفاء والإنجلاء في القلب لصلاح هذه الأعمال الباطنة فيكشف للقلب بعض الحقائق الكونيّة المتعلّقة بالأعيان والأعراض وعلى الأخص الأعمال الحسنة والخبيثة والحقائق الإلهيّة من صفاته، وعلى الأخص المعاملة التي بين الله والعبد ويقال لهذه المكشوفات حقيقة ويسمّى الانكشاف معرفةً.

أعمال السالك:

للسالك عملان؛أحدهما لازم، يعني مزاولة الأحكام الشرعيّة الظاهرة والباطنة؛ وأخرهما وهو مستحبّ، وهو إكثار الذكر، فمزاولة الأحكام تأتي برضا الله.

فعلمنا من هذا أنّ خلاصة التصوّف الإسلامي هي توخّي رضا الله سبحانه وهي تقتصر وتنحصر في استدامة ومزاولة الأعمال الظاهرة والباطنة كاملةً، وأنّ لهذه الأعمال درجتين: أحدهما، للفرائض والواجبات التي تجب مزاولتها على كلّ مسلم، ولذا يجب تحصيل تصوّف هذه الدرجة على كلّ مسلم وجوباً لازماً وهو يسمّى الولاية العامّة.

والدرجة الثانية، فهي درجة إكثار الذكر أو طلب زيادة الرضا والقرب، ولا بدّ فيه من أن يشتغل الظاهر بنوافل العبادات، والباطن والقلب في ذكر الله سبحانه دائماً، فلا يغفل أبداً وهي درجة مستحبّة.

التصوّف المحرّم:

وإن ساقه الاشتغال في هذه الدرجة إلى ضرر في شيء من أمور الدرجة الأولى أو ينقص فيها فالاشتغال في الدرجة الثانية حينئذ محظور ومحرّم؛ مثل ما يفعله بعض الجهلة بأنّهم يهجرون الأهل والعيال ويشغفون بالدروشة، وهكذا تجد كثيراً من الجهلة يحسبون الأذكار والأشغال والمراقبات والرياضيات، أو الأحوال، غايات ومنشودة أصليّة للتصوّف والولاية وهي جهالة خالصة، لأنّ المقصود هو أعمال الظاهر والباطن لا غير، وأمّا بقيّة الأذكار والأشغال المتعارفة فليست إلا تدابير ووسائل لإصلاح الأعمال، أمّا الأحوال فهي الثمرات التي ليست بلازمة، أي الثمرات التي لا يلزم أن تظهر وليس تحصيلها بواجب ولا منشود.

١ـ {مقتبس من كتاب «بين التصوّف والحياة» بتصرّف، للعلّامة عبدالباري الندوي}

الكاتب

عبدالغفار ميرهادي

إذا صحّ الحديث فهو مذهبي

إنّ الحديث الشريف هو الركن الثاني للشريعة الإسلاميّة، وإنّ الأئمّة الفقهاء كانوا إذا لم يجدوا في المسائل نصاً من القرآن الكريم طفقوا يبحثون عن الحديث، وكانوا شديد الأخذ به لاسيّما الإمام الهمام أبو حنيفة رحمه الله.

إنّه كان يستدلّ بالخبر الواحد أيضاً ـ بشرائطه ـ فضلاً عن المتواتر والمشهور. وهكذا يحتجّ أحياناً بالحديث الضعيف (وفي هذه الكلمة إشارة إلى ردّ من يعترض على الإمام بأنّه يقدّم الرأي على القياس) كما أنّه قدّم حديث القهقهة (مع وجود الضعف فيه) على الرأي، واستدلّ منه على نقض الوضوء من القهقهة في الصلاة.

وأصحاب أبي حنيفة مجمعون على أنّ ضعيف الحديث أولى عنده من القياس؛ ولم يكتف الإمام بهذا بل إنّه صرّح : «إذا صحّ الحديث فهو مذهبي»؛ هذه كلّها تدلّ على شدّة أخذه بالحديث.

ولكنّ المغرضين والمعترضين على الأحناف لا يزالون يعترضون إمّا تعصّباً وإمّا حسداً، ومن اعتراضاتهم على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله أنّه ترك بعض الأحاديث الصحيحة مع قوله: إذا صحّ الحديث فهو مذهبي، ويذكرون هذه العبارة عند عامّة الناس ويشكّكونهم في مذهبهم، والعامي الّذي لا اطلاع له بأصول الحديث وفنّه يتردّد في أمره وهو لا يدري أنّ قول الإمام له محمل.

وهذه العجالة ردٌّ لطيف على هؤلاء ، جمعتها من خلال نقول العلماء في الكتب، أسأل الله أن يجعلها نبراساً أمام القارئين الكرام.

هل قائل هذه الجملة الإمام أبوحنيفة رحمه الله فحسب؟

إذا استعرض الباحث يجد أنّ الإمام أباحنيفة رحمه الله لم يكن قائلاً هذه الجملة (إذا صح الحديث فهو مذهبي) فحسب. بل الأئمّة الأربعة رحمهم الله تعالى قالوا هذه الجملة أو نحوها.

قال أبو حنيفة: إذا صح الحديث فهو مذهبي وقال: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه، اتركوا قولي لكتاب الله، فقيل: إذا كان خبر الرسول يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر الرسول صلّى الله عليه وسلّم١.

قال مالك: إنّما أنا بشر، أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي، كلّ ما وافق الكتاب والسنّة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنّة فاتركوه.٢

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: «كلّ ما قلته وكان من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خلاف قولي ممّا صحّ، فهو أولى ولا تقلّدوني وقال: مهما قلت من قول، أو أصّلت من أصل، فيه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خلاف ما قلت، فالقول ما قاله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو قولي»٣

قال أحمد رحمه الله تعالى: «أنتم أعلم بالحديث والرجال منّي فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلموني كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً حتّى أذهب إليه إن كان صحيحاً».٤

وقال أحمد رحمه الله: ليس أحد إلا يؤخذ من رأيه ويترك ما خلا النبي صلى الله عليه وسلّم.

فلأجل هذا لا يكون الاعتراض على الإمام أبي حنيفة فحسب بل على الأئمّة الأربعة رحمهم الله تعالى.

إنّ قصد هؤلاء المعترضين من ترداد هذه الكلمة تشويش الناس، فيقول قائلهم أمام العامي: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وقال أبو حنيفة: المؤتمّ لا يقرأ وراء الإمام. فأيّهما نأخذ؟ بقوله صلّى الله عليه وسلّم أم بقول أبي حنيفة. فيشوش على العامي حتّى يظنّ أنّ المذاهب تخالف الأحاديث وأنّ المذاهب أقوال رجال لا علم لهم بالنصوص ـ والعياذ بالله ـ مع علمهم أنّ الله تعالى أوجب على العامي الأخذ بقول العالم من خلال قوله سبحانه:«فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»٥

قبل الخوض في شرح هذه الجملة (إذا صحّ الحديث إلخ) لا بدّ من تقديم مقدمة مسلّمة عند أهل العلم وهي أنّ القرآن الكريم متواتر صحيح النقل إلينا دون شك أو خطأ في الأداء، أو تغيير في اللفظ، نجد مع ذلك أن العلماء لم يأخذوا بكلّ أية حسب ما يظهر منها في بعض الحالات، بل قالوا: في القرآن الكريم ناسخ ومنسوخ وعام ومخصص ومطلق ومقيد ومجمل ومبين... وقالوا: لو أخذنا بكلّ آية صحيحة بحسب الظاهر منها لضللنا وخرجنا عن جادة الإيمان والعلم ـ والعياذ بالله ـ ولو اتُّبع ذلك القائل كائناً من كان، لكان القائل داعياً إلى النار، وكان الآخذ منه من الهالكين ـ والعياذ بالله ـ٦

قال الله تعالى في شأن الخمر: «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً» {النحل:٦٧}

وقال جلّ جلاله: «يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما» {البقرة:٢١٩}

وقال سبحانه: «يا أيها الّذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون» {النساء ٤٣}

وقال جلّ من قائل: «يا أيها الّذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون» {المائدة:٩٠}

إنّها آيات صادقة متواترة لا شكّ في ثبوتها وقد قال العلماء: إنّ الله تعالى تدرّج في تحريم الخمر من التنفير في السكر حتّى تحريمه مطلقاً وعلى أيّ حال، وذلك نسخ متفق عليه بين العلماء، فمن عمل بالآية الأولى والثانية والثالثة دون الرابعة، فذلك ضالٌّ، خارج عن الملّة باتّفاق العلماء.٧

وقال الله تعالى في شأن قبلة الصلاة: «فأينما تُولُّوا فثمّ وجه الله» {البقرة:١١٥}

وقال جلّ جلاله: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ» {البقرة:١٤٤}

إنّها آيات صادقة متواترة، وقد اتفق العلماء على أنّ من كان مقيماً وأراد الصلاة فليس له إلا الاتّجاه إلى بيت الله الحرام، لا لأيّ جهة إلا إذا جهل القبلة أو لم يمكنه الاتّجاه إليها لعذر من مرض أو عدوّ.٨

مراد قول الأئمّة ومحمله:

قال العلّامة المحقّق الأصولي مولانا الشيخ حبيب أحمد الكيرانوي في مقدمة إعلاء السنن: «حقيقة هذه الأقوال هو إظهار الحقيقة الواقعة بأنّ الحجّة هو قول رسول الله صلّى الله عليه وسلم لا قولي، فلا تظنّوا قولي حجّة مستقلّة وأنا أبرأ إلى الله ممّا قلته خلاف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم»٩

وقال صاحب «المجموع شرح المهذّب»: هذا الّذي قاله الشافعي ليس معناه أنّ كلّ أحد رأى حديثاً صحيحاً، قال هذا مذهب الشافعي رحمه الله وعمل بظاهره، وإنّما هذا فيمن له رتبة الاجتهاد في المذهب وشرطه: أن يغلب على ظنّه أنّ الشافعي رحمه الله لم يقف على هذا الحديث، ولم يعلم صحّته وهذا إنّما يكون بعد مطالعة كتب الشافعي كلّها ونحوه من كتب أصحابه الآخذين عنه وما أشبهها، وهذا شرطٌ قلّ من يتّصف به.١٠

وإنّما اشترطوا ما ذكرنا لأنّ الشافعي رحمه الله ترك العمل بظاهر أحاديث كثيرة رآها وعلمها ولكن قام الدليل عنده على طعن فيها أو نسخها، أو تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك.١١ وجاء في قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث في تعليقه: «ومرادهم من قولهم هذا هو إذا صلح الحديث للعمل به فهو مذهبي» ١٢ وقال العلّامة محمد زكريّا الكاندهلوي رحمه الله تعالى: ومحلّ ذلك أنّ الحديث لم يطلع عليه الإمام، أمّا إذا عرف أنّه اطلع عليه وردّه أو تأوّله بوجه من الوجوه فلا.١٣

وقال العلّامة الكوثري: قول الشافعي:«إذا صح الحديث فهو مذهبي» ليس بمعنى أنّ كلّ ما قال فيه أحد أنّه حديث صحيح، آخذ به راجعاً عمّا قلته من قبل، بل بمعنى: أنّ الحديث إذا صحّ بشرطه، وصحّت دلالته آخذ به، وإلا اختلط مذهبه؛ وقد أقاموا النكير على ابن محمد الجويني حيث حاول أن يؤلّف كتاباً يجمع فيه مسائل صحّ الحديث فيها في نظره، عازياً إياها إلى الشافعي، تعويلاً منه على هذا القول المحكي عن الشافعي، وقد استبان لأهل العلم بالحديث أنّه كان يصحّح أحاديث غير صحيحة ويجعل المسائل المستنبطة منها أقوال الشافعي فزجروه عن ذلك.١٤

وقد عدّ شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله تعالى أسباب ترك الفقيه الحديث؛ أذكر بعضها:

١ـ أن يكون الحديث قد بلغه لكنّه لم يثبت عنده إمّا لأنّ محدثه أو محدث محدثه أو غيره من رجال الإسناد مجهول عنده، أو متهم، أو سيء الحفظ إلخ

٢ـ معارضته بما يدلّ على ضعفه أو نسخه أو تأويله١٥؛ ذكر عشرة من أسباب ترك الحديث.

وذكر صاحب كتاب «اختلاف أمّت أور صراط مستقيم»: «وليعلم أنّه ليس لأحد من الأئمّة المقبولين عن الأمّة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في شيء من سننه دقيق ولا جليل، فإنّهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول صلّى الله عليه وسلّم وعلى أنّ كلّ أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بدّ له من عذر في تركه.١٦

ثم ذكر بعض الأعذار لترك الحديث ناقلاً عن ابن تيمية؛ منها: عدم اعتقاد أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قاله، ومنها: اعتقاده أنّ ذلك الحكم منسوخ.١٧

هل يمكن العمل بهذا القول لأحد؟

ولا يخفى أنّ ذلك لمن كان أهلاً للنظر في النصوص ومعرفة محكمها من منسوخها١٨ وجاء في المجموع شرح المهذب: وإنّما هذا فيمن له رتبة الاجتهاد في المذهب وشرطه: أن يغلب على ظنّه أنّ الشافعي رحمه الله لم يقف على هذا الحديث، ولم يعلم صحّته وهذا إنّما يكون بعد مطالعة كتب الشافعي كلّها ونحوه من كتب أصحابه الآخذين عنه وما أشبهها، وهذا شرطٌ قلّ من يتّصف به.١٩

وذكر الشيخ العلّامة محمد رفيع العثماني في تعليقه على شرح عقود رسم المفتي ذيل هذه الجملة «ولا يخفى أنّ ذلك لمن كان أهلاً للنظر في النصوص إلخ» قوله: قلت لا يخفى، دفع لما يتوهّم من أنّ المقلّد العامي إذا وجد حديثاً وزعم أنّه مخالف لقول إمامه جاز له أن يترك قوله ويعمل بالحديث؛ وحاصل الدفع أنّه لا يجوز إلا لمجتهد في المذهب.٢٠

١ـ موقف المدرسة العقليّة من السنّة النبوية ١٢٤/٢ إعداد الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشيد

٢ـ المرجع السابق ١٢٥/٢

٣ـ المرجع السابق، وهكذا في قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث، الإمام الشافعي كان يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي٤٧١

٤ـ موقف المدرسة العقليّة من السنّة النبوية ١٢٥/٢

٥ـ إذا صح الحديث فهو مذهبي ص٥، لوهبي سليمان غاوجي الألباني

٦ـ المرجع السابق ص٧

٧ـ المرجع السابق ص٨

٨ـ المرجع السابق ص٨

٩ـ أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمّة الفقهاء لمحمد عوّامة ص٥٢

١٠ـ المجموع شرح المهذب للنووي٦٣/١ دارالفكر

١١ـ أثر الحديث الشريف ٤٥

١٢ـ قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث ٤٧٢

١٣ـ أوجز المسالك إلى مؤطا الإمام مالك ٩٧/١

١٤ـ قواعد التحديث ٤٧٢

١٥ـ مجموع الفتاوى لابن تيمية

١٦ـ اختلاف أمت أور صراط مستقيم لمولانا يوسف لدهيانوى٢٣/٢

١٧ـ المرجع السابق ص٢٥

١٨ـ حاشية ابن عابدين ٢٢١/١ دار الثقافة والتراث

١٩ـ المجموع شرح المهذب للنووي ٦٣/١

٢٠ـ شرح عقود رسم المفتي بتحقيق الشيخ العلّامة محمد رفيع العثماني حفظه الله، مكتبة دار العلوم بكراتشي

فنّ إلقاء الخطاب

» الكاتب حمزة خالدي نسب

مقدّمة:

يتميّز الإنسان عن الحيوان بأنّه ناطق، قال تعالى: «الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان» {الرحمن:١-٤}؛ فنّ إلقاء الخطاب هو فنّ النطق بالكلام على صورة توضح ألفاظه ومعانيه، فيتكوّن الخطاب من الكلمات ثم الجمل ثمّ إلقاءه على صورة الصوت في معادنه وطبقاته منغماً يناسب المعاني، فيبدو واضحا مبينا جميلا له وقع على آذان السامعين، وسمّي فنّاً لا علماً لأنّه يعتمد في أساسه على الذوق والجمال قبل اعتماده على القواعد والقوانين. والقواعد والقوانين كالمادة لا بدّ أن يظهر فيها الأثر الفنّي، والفِطرة الفنّية كالجسم لايغني فخامته وقوّته عن تفاهة النفس وضعفها، فلابد من الروح و النفسية القوية و سائر الخصائص الرجولية لحصول الكمالية فيه فالدراسات العلميّة الخاصّة بالفنون تصقل الفطرة الفنّية وتنميها، فالتذوّق الفني عند العرب كان معيناً ببلاغة الكلام وبإلقاءه خاصة لأنّ الكلام عندهم كان مسموعاً أكثر منه مقروءاً.

فنون إلقاء الخطاب الجيّد

هذه خصائص و ميزات لابد منها في المتكلم أو الخطاب لحصول فنية الخطاب و روعته و جماله و هي:

١- التحضير الجيّد للموضوع: وذلك بجمع المعلومات والشواهد والمستندات والوثائق، وأن يسند الكلم ويوثقه وأن يجتنب من الموضوعات والكلام الضعيف الإسناد وأن يكون كلامه موافقاً للعقل والنقل والعلم الصحيح، فهناك خطوط لا بدّ من الحركة عليها وهي خط العقل الصريح وخط النقل الصحيح و خط الفطرة السليمة و خط العلم الحديث والنواميس الكونيّة.

٢- اختيار موضوع مناسب: الموضوع يكون بمنزلة الرأس فمنه تنشقّ سلسلة الأعصاب الدمويّة وغيرها إلى سائر الأعضاء،ولا بدّ من ارتباط وثيق بين الموضوع والمفاهيم الملقاة إلى المستمعين، ويجب انتخاب الموضوع حسب حاجة الناس ومشاكلهم الاجتماعيّة والعقديّة وغيرهما، وأن لا يكون غير مرتبط بالمكان والزمان ونوعيّة الناس، بل يراعي فيه مقتضى الحال، فالكلام عن رمضان في أشهر الحج غير مناسب، والكلام عن الموت في مناسبة الزواج غير مناسب وهكذا.

٣- بيان أهداف الخطاب وغاياته والنتائج المتوقّعة

منه في نفسية المستمعين ومواقفهم.

٤ـ التشريع الموضوعي والعرض، يجب أن يكون الخطيب واسع المعرفة بالنسبة للموضوع وملابساته وأن لا يحيد عنه ولا يستطرد إلى جوانب غير مرتبطة بالموضوع كما نشاهد في كثير من الخطب الّتي تلقى هنا وهناك؛ والموضوعيّة معناه الدقّة والتحديد وتحرّي الموضوع وتشريحه بالتخصّص وتوضيحه مجانباً مواضيع عامّة و واسعة، ولا بدّ من عرض الموضوع بتسلسل منطقي وترتيب عقلي بتنظيم وتنسيق بين عناصر الموضوع.

٥ـ من الناحية الصوتيّة: لا بدّ من رعاية قوانين الصوت والنطق والتجويد في إلقاء الجمل والكلم،من الشدّة إلى الرخاء والهمس فلا يكون المتكلّم متكلّفاً في إلقاء الخطاب بل يكون سلساً بليغاً فصيحاً مجوداً ليّناً في مواقع اللين، ومشدّداً في مواقع الشدّة وهكذا. ويعطي ألفاظه وجمله موسيقى وإيماءً و وقعاً في السمع لحصول التأثير في القلوب.

٦ـ من الناحية النحويّة: لا بدّ من مراعاة قوانين نظم الكلام وأجروميّته لأنّ هذه القواعد بمنزلة صمام الأمان من انحراف الألسنة وحفظاً على كلّ لغة من الاندثار والانهيار فلا بدّ من تصوير وترسيم الكلام والصور الكلاميّة واضحة المعالم، بيّنة الدلالات، والنحو هو الإطار والتخطيط لبناء صرح الكلم، والقرآن الكريم هو المرجع الأوّل والأساسي الّذي أوحى إلى قرّاءه ودارسيه بقواعد النطق الجيّد السليم فتمّت بها الصورة اللغويّة العربيّة شكلاً ونطقاً، فالإسقاط في الأخطاء النحويّة والصوتيّة عيٌّ وعيبٌ على الخطيب. والعرب يقول: أخطب من قس بن ساعدة وأفصح من سحبان وأعيا من باقل وجعلوه نقيضاً لقس بن ساعدة.

٧ـ من الناحية البلاغيّة: يزين ويحلي الخطيب كلمه بإيراد الصور البلاغيّة من التشابيه والاستعارات والمجازات والكنايات وغيرها من فنون القول البليغة بقدر الحاجة وكذلك يستخدم البديع وفنونه من السجع والجناس والطباق والتضادّ وغيرها ولكن لا بدّ من التنبّه والإشارة إلى أنّ استخدام هذه الفنون يراعى فيها الاعتدال بدون إفراط ولا تفريط، وابتغ بين ذلك سبيلاً. حتّى لا يظنّ المستمعون أنّ الخطبة هي ألعوبة بالكلمات ويختفي المفاهيم والمعاني وراءها ولذلك حذّر عارفوا الفنون الكلاميّة من تكثير السجع في الأدعية والقنوت حتّى لا يلتفت التوجّهات إلى غنائية الألفاظ والتطريب بها بدلاً من التوجّه إلى الله تعالى والمفاهيم الروحانية السامية.

ولا بدّ من تنوّع الأساليب في الخطاب فلا تكون العبارات والجمل بنوع واحد بل يتعدّد من بين الجمل الفعليّة والإسميّة ومن الخبريّة إلى الإنشائيّة، والتكرار هو من خصائص الخطاب خلافاً للكتابة، فيكرّر بعض العبارات المهمّة وهو نوع من التأكيد و لابدمن الإلمام بدراسة الأسلوب.

٨ـ وجود مشاعر وأحاسيس: هذا يعني أن يتفاعل وينفعل الملقي أو الخطيب مع ما يريد إلقاءه وأن يكون له أهمّية في نفسه وأن يتأثّر به قبل غيره، مع وجود معلومات كافية وشاملة حول الموضوع.

٩ـ استخدام لغة الجسد وهي لغة الجوارح وملامح الوجه والحركات الجسديّة والالتفات يميناً وشمالاً ونبرات الصوت والإشارات ، حسب المواقف والمواضع، فلا يكون الجسد والجوارح ساكنة وعلى وتيرة واحدة، بل يتحرّك الجوارح والملامح تنسيقاً مع الموضوع، كما أنّ بعض نبرات الصوت تجلب الحزن وبعضها تجلب الفرح.ففي مواقع الرحمة و النعمة لابد من همس و ارخاء الصوت و الفرح و في مواضع العذاب و العقوبة لابد من ارتفاع نبرات الصوت و الخوف و القلق ....

١٠ـ الاختصار الغير المخلّ بالموضوع، وذلك أنّ الأساس هو الاختصار والإجمال في كثير من مواقع ومواضع الخطاب راعياً أحوال المستمعين وقدراتهم، وكما نرى أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يختصر جدّاً فالأحاديث الواردة هي مختصرة وقصيرة، ونزل القرآن الكريم مفرقاً مفرقاً كما قال تعالى: «وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلاً»{الإسراء:١٠٦} فالاختصار يجانب الإملال والإثقال والنسيان، لأنّ الكلام الطويل ينسى كثيره.

١١ـ براعة الاستهلال: وهي أن ينجذب المستمعين إليه بكلام بديع وجميل في المقدمة، ويأتي بكلام غريب وأسئلة حتّى يلفت الانتباهات إليه ثم يفصيل الكلام والإجابات، وأن لا يطيل في صيغة الحمد والصلوات.

١٢ـ اغتنام الفرص والمواقع والأحداث والمناسبات لإلقاء الخطابات الملائمة بهذه المناسبات.

١٣ـ الخاتمة: وفيها تذكر أهمّ أهداف ونتائج الخطاب، ولا بد فيها من التركيز والاختصار وهي أقرب إلى التذكّر. وإيراد آيات مباركة مناسبة للختام تعطي الخاتمة التنوير والجمال، والخروج السهل الممتع و هذه أسلوب القرآن الكريم في أكثر خواتم سور كقوله تعالى: «سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمدلله ربّ العلمين»{الصافات:١٨٠ـ ١٨٢} وكقوله:«فإذا فرغت فانصب وإلى ربّك فارغب» {الانشراح:٧ ـ ٨}...

والسلام على من اتبع الهدى

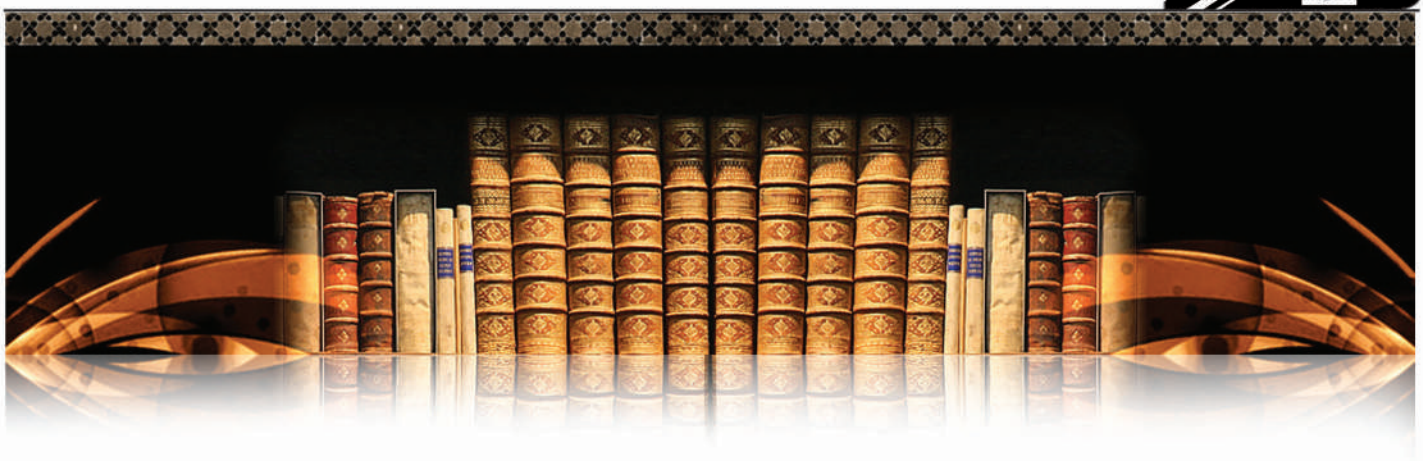

التقليد في ضوء القرآن و السنة

الكاتب علي رسولي

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الّذين اصطفى أما بعد:

فلا شكّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث:

*مبلّغاً عن الله، قال تعالى: «يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليک من ربّک» {المائدة:٦٧}

*ومبيّناً عن الله مراده، قال تعالى: «وأنزلنا إليک الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم».{النحل:٤٤}

*ومعلّماً للكتاب والحكمة، قال تعالى: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»{آل عمران:١٦٤}

*ومحلّلاً لهم الطيّبات، ومحرّماً عليهم الخبائث، قال تعالى: «ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث» {الأعراف:١٥٧} وقال تعالى: «ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله» {التوبة:٢٩}

*وقاضياً في أمورهم، قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» {الأحزاب:٣٦}

*وحَكَماً فيما شجر بينهم، قال تعالى: «فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا» {النساء:٦٥} وقال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ» {النساء:١٠٥}

*وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» {الأحزاب:٢١}

*وأمرنا الله تعالى باتباعه صلّى الله عليه وسلّم، قال تعالى: «فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تهتدون» {الأعراف:١٥٨} وقال تعالى: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني» {آل عمران:٣١}

*الأخذ بما أتى والانتهاء عمّا نهى، قال تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» {الحشر:٧}

*وأوجب علينا في غير آية طاعتَه عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» {النساء:٥٩} وقال تعالى: «وأطيعوا الله ورسوله» {الأنفال:٤٦} وقال تعالى: «وإن تطيعوه تهتدوا» {النور:٥٤} وقال تعالى: «وأطعن الله ورسوله» {الأحزاب:٣٣} حتّى جعل طاعته صلّى الله عليه وسلّم كطاعته فقال تعالى: «ومن يطع الرسول فقد أطاع الله» {النساء:٨٠} (الإمام ابن ماجة وكتابه السنن ص،٢٣إلى ٢٥)

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مبيّن شرائع الإسلام، أحياناً بالقول وحده، وأحياناً بالفعل وحده، وأحياناً بهما معاً، فكلّ ما قاله صلّى الله عليه وسلّم أو فعله أو حدث أمامه وقرّره حيث سكت عليه سكوت رضاً ولم ينكره كان تشريعاً. ومتى ثبت ذلک عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان في العمل بمنزلة القرآن. (الإمام ابن ماجة وكتابه السنن ص،٢٥إلى٢٦)

ولكن كيفيّة ثبوت الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتفاوت؛ أحياناً يثبت عن طريق غير صحيح وأحياناً يثبت عن طريق صحيح؛ وبالنسبة إلى التفاوت في كيفيّة الثبوت يتفاوت الحكم الثابت منه عند الفقهاء.

واتفق جمهور العلماء على أنّ شروط الحديث الصحيح خمسة وهي: اتصال السند، وثبوت عدالة الراوي، وثبوت ضبطه، وسلامة السند والمتن من الشذوذ وسلامتها أيضاً من العلّة القادحة. (أثر الحديث الشريف)

ما جاء في القرآن ولا السنّة تصريح لهذه الشروط إلا أنّ الله تعالى ألزم التبيّن في خبر الفاسق حيث يقول: «إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا»، فيفهم من هذه الآية أنّ خبر الفاسق ليس بمردود

بالكلّية بل يجب التحقيق والتبيين في إثبات صحّة خبره وقبوله.
وأيضاً جاء في الحديث أنّه صلّى الله عليه وسلّم قبل خبر أعرابيّ حينما أخبر برؤية الهلال، فسأله صلّى الله عليه وسلّم عن إيمانه، وحينما علم أنّه مؤمن، قَبِل خبره.
وأمّا الصحابة، فثبت عن سيّدنا عمر رضي الله عنه أنّه في البداية كان لا يقبل الحديث عن أحد إلا إذا جاء بشاهدين يشهدان بصحّة حديثه، وعن عائشة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم أجمعين أنّهم كانوا يردّون حديث من كان لا يوافق حديثه قواعد الشريعة وأصولهم.
فقد روى ابن ماجة في سننه (١٦٣/١، كتاب الطهارة، باب الوضوء ممّا غيّرت النار) عن أبي هريرة: أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم قال: توضّؤوا ممّا غيّرت النار، فقال ابن عباس: أتوضّأ من الحميم؟{أي الماء الساخن} فقال له: يا ابن أخي، إذا سمعت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حديثاً فلا تضرب له الأمثال. فعبد الله ابن عباس حبر هذه الأمّة يردّ حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الّذي رواه واحدٌ لمخالفة هذا الحديث قواعد الشريعة على أصوله.
وهكذا فعل ابن عمر رضي الله عنهما: روى الإمام الطحاوي في شرح معاني الآثار{٦٩/١}عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ،عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:مَا تَقُولُ فِي الْوُضُوءِ مِمَّا غَيَّرَتِ النَّارُ؟ قَالَ: تَوَضَّأُ مِنْهُ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي الدُّهْنِ وَالْمَاءِ الْمُسَخَّنِ، يُتَوَضَّأُ مِنْهُ؟ فَقَالَ: أَنْتَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ دَوْسٍ . قَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، لَعَلَّكَ تَلْتَجِئُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ »[الزخرف: ٥٨]
وأخرج أحمد في مسنده عن أبي حسان الأعرج: أنّ رجلين دخلا على عائشة، فقالا: إنّ أباهريرة يحدّث:أنّ نبي الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقول: إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار، قال: فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض، فقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول ولكن نبي الله صلى الله عليه و سلم كان يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة.(الإمام ابن ماجة وكتابه السنن ص٣٨)
فهؤلاء فقهاء الصحابة يردّون خبر الواحد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأجل عدم موافقة الخبر قواعد الشريعة على أصولهم، وإن كان راويه ثقة وسنده متّصلاً؛ أمّا هذه الشروط الخمسة فقد وقع الاختلاف بين المحدّثين في كيفيّة تحقق هذه الشروط.
١ـ أمّا الاتصال: فقد اختلف المحدّثون في تحقّق الاتصال وذلك في المسألة المعروفة عندهم بمسألة اللقاء بين الراوي وشيخه، فالإمام البخاري وغيره يشترطون ثبوت اللقاء بينهما ولو مرةً واحدةً والإمام مسلم وغيره ـ بل ادعى مسلم الإجماع على قوله(مقدمة صحيح مسلم١٣٠/١ بشرح النووي عليه) ـ يشترطون إمكان اللقاء بينهما لا ثبوته.

وعلى هذا فما يصحّحه مسلم ومن معه بناءً على هذا المفهوم للاتّصال، لا يعتبره البخاري صحيحاً؛ ومن يذهب مذهب مسلم في شرط الاتصال من الفقهاء قد يحتجّ بحديث اتصاله كهذا الاتصال ويقول: قد صحّ الحديث في هذا الحكم، في حين أنّ غيره من العلماء الّذين يذهبون مذهب البخاري يخالفونه ولا يعتبرونه صحيحاً، وبالتالي لا يعتبرونه حجّة يستنبط منه أحكام فقهيّة وكلّ ما بني عليه من أحكام فهو منقوض عندهم، وممّا يتعلّق بأمر الاتصال أيضاً ـ ودائرة الاختلاف تتّسع أكثر من المثال السابق ـ الحديث المرسلُ.
فالمرسل ـ وهو ما أضافه التابعي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ـ غير متّصل، ولكن هل يضرّه عدم اتّصاله ويخرجه عن دائرة الاحتجاج به؟
ذهب جمهور المحدّثين إلى أنّ الحديث المرسل ضعيف غير حجّة، وذهب جمهور الفقهاء ـ منهم الأئمّة أبوحنيفة ومالك وأحمد في إحدى الروايتين عنه ـ إلى أنّ الإرسال لا يضرّ، فالمرسل عندهم حجّة يُعمل به.
وتوسّط الحكم بين الطرفين الإمامُ الشافعي، فاعتبره ضعيفاً ضعفاً يسيراً، فإذا عرض له أحد المؤيّدات الأربعة صار حجّة عنده ـ والمؤيّدات هي: أن يروى مسنداً، أو مرسلاً من وجه آخر، أو يفتي به بعض الصحابة، أو أكثر أهل العلم ـ
وعلى هذا: فالحكم الفقهي الّذي يقول به الأئمّة الثلاثة أو أحدهم ويحتجّ له بحديث مرسل ولم يتأيّد بواحد من المؤيّدات الأربعة: يخالفه الشافعي كما يخالفه جمهور المحدّثين أيضاً، وليست الأحاديث المرسلة بالعدد اليسير! قال العلّامة العلاء البخاري رحمه الله{في شرحه على أصول البزدوي٥/٣}: وفيه ـ أي في ردّ المرسل ـ تعطيل كثير من السنن. بل قال العلّامة الكوثري رحمه الله: من ضعّف الحديث بالإرسال نبذ شطر السنّة المعمول بها.(تأنيب الخطيب ص١٥٣)
٢ ـ أمّا ثبوت عدالة الراوي: فههنا مهيع واسع جداً ومجال رحب للاختلاف، فقد اختلفوا في نوعيّة العدالة المطلوب ثبوتها:
ـ هل يكتفى بكون الراوي مسلماً لم يثبت فيه جرح، فيحكم له حينئذ بالعدالة؟
ـ أو يشترط أن يضاف إلى ذلك ثبوت عدالته الظاهرة فيكتفى بذلك؟ ويسمّى حينئذ مستوراً.
ـ أو لا بدّ من ثبوت عدالته الظاهرة والباطنة؟
ـ كما اختلفوا: هل يكتفى بتعديل إمام واحد؟ أو لا بدّ من تعديل إمامين لكلّ راو؟
ـ يضاف إلى الاختلاف في هذه النقاط: الاختلاف في الأمر الّذي يصلح أن يُعتبَر جارحاً مُسقِطاً لعدالة المسلم.
(ففي كلّ ما قيل، اختلاف بين العلماء وبسببه يصير الحديث ضعيفاً عند البعض وصحيحاً عند الآخرين، فلا يمكن الجزم في كلّ راو بأنّه ثقة أو ضعيف أو غير ذلك؛ لأنّ كثيراً من الرواة

اختلف قول العلماء في جرحهم وتعديلهم.) ومن يعدِّله إمام من الأئمّة قد يجرحه إمام آخر، والرجال المتّفق على عدالتهم أو ضعفهم أقلّ من الرواة المختلف فيهم بكثير.

ثمّ إنّ الراوي الواحد المختلف فيه قد يكون له عشرات الأحاديث، فمن مال إلى تعديله، احتجّ بجميع الأحكام المستفادة من مرويّاته، ومن مال إلى جرحه: لا يحتجّ بها.

فلا يعلم حال الرواة إلا من له مهارة في تاريخ الجرح والتعديل وفقه الجرح والتعديل ودخائل الجرح والتعديل ورسومه وألفاظه، وهذه الأمور لا يدركها إلا من حذِق هذا العلم.

٣ـ وكذلك الاختلاف في تحقّق الشروط الأخرى للحديث الصحيح

ويحسن التنبيه إلى شرط في ثبوت ضبط الراوي، اشترطه الإمام أبو حنيفة رحمه الله؛ هو استمرار حفظ الراوي لحديثه من حين تحمّله إلى حين أدائه دون أن يتخلّله نسيان له(شرح مسند أبي حنيفة للقاري ص٣) وهذا شرط شديدٌ، حمله عليه ما شهده من اضطراب الرواة وتصرّفهم، وبحكم هذا الشرط سيختلف مع غيره في تضعيف بعض الأحاديث وتصحيح غيره لها.(مأخوذ من درة يتيمة الشيخ محمد عوّامة حفظه الله: أثر الحديث الشريف في اختلاف الفقهاء من صفحة٢٩ إلى ٣٣)

فليس بميسور في كلّ حديث معرفة أنه متواتر أو غير متواتر وصحيح أو حسن أو ضعيف، كما يظنّ كثير من الناس الّذين بسبب جهلهم في العلوم الدينيّة المختلفة يتجرؤون في رواية الحديث والاستنباط من بعض الأحاديث وردّ بعض أخر منها.

الحديث الضعيف

اتفق العلماء على أنّ الحديث إذا بلغ رتبة الصحّة أو الحسن كان صالحاً للعمل والاحتجاج به في الأحكام الشرعيّة، أمّا الحديث الضعيف: فذهب جمهورهم ـ بل جماهيرهم ـ إلى العمل به في الفضائل والمستحبّات بشروطه المسوّغة لذلك، لكن ذهب بعض الأئمّة إلى العمل بالحديث الضعيف في الأحكام الشرعيّة: الحلال والحرام، حتّى أنّهم قدّموه على القياس وهذا مذهب الأئمّة الثلاثة من المجتهدين: أبي حنيفة، ومالك، وأحمد وهو مذهب جماعة من أئمّة المحدّثين أيضاً كأبي داود والنسائي وأبي حاتم. لكن بشرطين: أن لا يشتدّ ضعفه وأن لا يوجد في المسألة غيره وهذا مذهب ابن حزم أيضاً.(أثر الحديث الشريف٣٦)

إذا صحّ الحديث فهو مذهبي

شبهتان تعيشان في أذهان كثير من الناس، هما:

ـ إذ صحّ الحديث فهو مذهبي.

ـ صحّة الحديث كافية للعمل به.

يعني إذا وجدنا حديثاً صحيحاً مثلاً في الصحيحين أو في أيّ كتاب أخر من كتب الحديث فإذا عملنا به هل عملنا بسنّة ثابتة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأيضاً لم نخرج عن مذهب إمام معتبر من الأئمّة المجتهدين؟

والجواب أن نقول: إنّ كلمة: « إذا صحّ الحديث فهو مذهبي» قالها الإمام الشافعي وغيره من الأئمّة، بل هي لسان حال كلّ مسلم عقل معنى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أمّا حقيقة هذا الكلام أنّ مراد الأئمّة من قولهم: إذا صحّ الحديث فهو مذهبي، يعني إذا صلح الحديث للعمل فهو مذهبي، وهذا إذا صحّ في مسألة، الخبر بلا معارض فهو مذهب للمجتهد وإن لم ينصّ عليه؛ ولا يخفى أنّ ذلك لمن كان أهلاً للنظر في النصوص ومعرفة محكمها من منسوخها(حاشية ابن عابدين١/٦٨)

وأمّا ما كان في بداية الأمر سنّة ثمّ نسخت سنّيته وأحكم غيره وصار سنّة في نهاية الأمر، فالناسخ هو السنّة الثابتة لا المنسوخ، وأحياناً لا يجوز العمل بالسنّة الثابتة من النصّ المنسوخ وإن كان صحيحاً بل يحرم العمل به وأحياناً يكفر محلّله، مثل النصوص الّتي تدلّ على حلّة شرب الخمر وأكل الربوا في بداية الأمر، فمن أحلّ شرب الخمر وأكل الربوا مستدلاً بالآيات والأحاديث الصحيحة المنسوخة الّتي تدلّ على هذا الأمر فهو كافر بإجماع أهل السنّة وإن كان استدلّ بالنصوص الصحيحة ولكن لكونها منسوخة لا يقبل عذره.

فكثير من الأحاديث هكذا حالها، يعني كثير من الأحاديث هي صحيحة من حيث الصناعة الحديثيّة لكن هي منسوخة وتوجد غيرها أو خلافها أحاديث هي ناسخة ومحكمة ولا يعلم هذا إلا من كان أهلاً للنظر في النصوص ومعرفة محكمها من منسوخها.

كما قال العلّامة المفسّر المحدّث الفقيه فضيلة الشيخ عبد الغفار عيون السود الحمصي الحنفي رحمه الله في رسالته الماتعة «دفع الأوهام عن مسألة القراءة خلف الإمام{ص٦٩}»

قال: نرى في زماننا كثيراً ممّن يُنسب إلى العلم مغتراً في نفسه، يظنّ أنّه فوق الثريّا وهو في الحضيض الأسفل، فربما يطالع كتاباً من الكتب الستّة ـ مثلاً ـ فيرى حديثاً مخالفاً لمذهب أبي حنيفة فيقول: اضربوا مذهب أبي حنيفة على عُرض الحائط، وخذوا بحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد يكون هذا الحديث منسوخاً أو معارضاً بما هو أقوى منه سنداً أو نحو ذلك من موجبات عدم العمل به، وهو لا يعلم بذلك، فلو فُوِّض لمثل هؤلاء العمل بالحديث مطلقاً لضلّوا في كثير من المسائل وأضلّوا من أتاهم من سائل.(أثر الحديث الشريف ٦١ـ ٦٢)

يقول الشيخ العلّامة محمد عوّامة حفظه الله:

هنا تثور ثائرة أدعياء الدعوة إلى العمل بالسنّة فيقولون: هل يجوز لكم أن تحكموا بالضلال على من يعمل بالسنّة ويفتي الناس بها؟! فنقول: نعم إذا لم يكن أهلاً لهذا المقام، فحُكمُنا عليه بالضلال لا لعمله بالسنّة ـ معاذ الله ـ بل لتجرّئه على ما ليس أهلاً له.

ولأنّه جعل المنسوخ سنّة ثابتة محكمة ولأنّه أصرّ على ما تركه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهذا بسبب جهله دقائق العلوم وهو يرى نفسه عالماً بل أعلم من الأئمّة المجتهدين الّذين هذا

يردّ كلامهم.

قال الإمام أبو محمّد عبد الله بن وهب المصري الّذي صنّف مائة ألف وعشرين ألف حديث: الحديث مَضِلّة إلا للعلماء، وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله: قال ابن عيينة: الحديث مَضلّة إلا للفقهاء، يريد: أنّ غيرهم قد يحمل شيئاً على ظاهره وله تأويل من حديث غيره، أو دليل يخفى عليه، أو متروك أوجب تركَه غير شيء، ممّا لا يقوم به إلا من استبحر وتفقّه. (أثر الحديث الشريف٦٣)

فإن قيل: فما مراد الأئمّة من تقرير هذه الكلمة وما شابهها؟

فالجواب:حقيقة هذه الأقوال هو إظهار الحقيقة الواقعة بأنّ الحجّة هو قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا قولي، فلا تظنّوا قولي حجّة مستقلّة، وأنا أبرأ إلى الله ممّا قلته خلاف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.(مقدمة إعلاء السنن للعلّامة الكيرانوي نقلاً عن أثر الحديث الشريف٧٥)

وليس مرادهم أنّ كلّ حديث قال فيه كلّ قائل: حديثٌ صحيح، فهو مذهبي، فكم من قائل يظنّ نفسه متبحّراً في الحديث وهو لا يعرف الرطب واليابس، ومن يجهل خطورة شيء ودقائقه يجترئ فيه، كالطفل الّذي لا يعرف خطر الكهرباء فهو يأخذ السلك أو كمن لا يعرف خطر الدواء فهو يظنّ الحبّ صغيراً فيجترئ في أكل كلّ حبّ، أمّا الماهر والطبيب فيحتاط بسبب علمه بالدقائق والخطورة؛ ولكلّ ميدان رجاله ولا يجوز لإنسان أن يتعدّى طوره.

صحّة الحديث كافية للعمل به؟

صحّة الحديث معناه صلاحية الحديث للعمل، وصلاحيته للعمل تكون بعد استكمال سنده ومتنه وشروطاً كثيرة جداً، منها الشروط الحديثيّة ومنها الشروط الأصوليّة وليس الأمر موقوفاً على النظر في رجال إسناده.

فليس كلّ حديث صحيح يؤخذ به ويعمل به، كما روى ابن أبي خيثمة في شرح علل الترمذي وأبو نعيم في الحلية عن إبراهيم النخعي أنّه قال: إنّي لأسمع الحديث فأنظر إلى ما يؤخذ به فآخذ به وأدع سائره.

وروى الإمام الحافظ ابن عبد البر رحمه الله بسنده إلى القاضي المجتهد ابن أبي ليلى رحمه الله أنّه قال: لا يفقه الرجل في الحديث حتّى يأخذ منه ويدع.

وروى أبو نعيم أوّل ترجمة الإمام أمير المؤمنين في الحديث عبد الرحمن بن مهدي أنّه قال: لا يجوز أن يكون الرجل إماماً حتّى يعلم ما يصحّ وما لا يصحّ وحتّى لا يحتجّ بكلّ شيء وحتّى يعلم بمخارج العلم.

وروى ابن عساكر عن ابن وهب أنّه قال: لو لا مالك بن أنس والليث بن سعد لهلكت؛ كنت أظنّ أنّ كلّ ما جاء عن النبي صلّى الله عليه وسلّم يُفعل به، وفي رواية لضللت يعني:لاختلاف الأحاديث، قال الكوثري: كما يقع لكثير من الرواة البعيدين عن الفقه غير المميّزين، قارن العمل به عمّا سواه.

ولفظ رواية القاضي عياض رحمه الله: قال ابن وهب: لو لا أنّ الله أنقذني بمالك والليث لضللت، فقيل له: كيف ذلك؟ قال: أكثرت من الحديث فحيّرني، فكنت أعرض ذلك على مالك والليث فيقولان لي: خذ هذا ودع هذا. وابن وهب هذا من صنّف مائة ألف وعشرين ألف حديث.

قال الحاكم في المستدرك{٢٢٦/١}:لعلّ متوهّماً يتوهّم أن لا معارض لحديث صحيح الإسناد، آخر صحيح وهذا المتوهّم ينبغي أن يتأمّل كتاب الصحيح لمسلم حتّى يرى من هذا النوع ما يملّ منه.

من هنا قال الإمام سفيان الثوري منبّهاً ومتخوّفاً من هذه الحيرة: تفسير الحديث خير من سماعه؛ وقال الإمام أبو علي النيسابوري:الفهم عندنا أجلّ من الحفظ.

وفي الفقيه والمتفقه: أنّ رجلاً سأل ابن عقدة عن حديث، فقال له: أقلوا من هذه الأحاديث، فإنها لا تصلح إلا لمن علم تأويلها، فقد روى يحيى بن سليمان، عن ابن وهب، قال: سمعت مالكاً يقول: كثيرمن هذه الأحاديث ضلالة، لقد خرجت مني أحاديث لوددت أني ضربت بكل حديث منها سوطين، وإني لم أحدث به.

وعلّق هنا العلّامة الشيخ إسماعيل الأنصاري بقوله: إنّما هذا بالنسبة لمن يضعها غير مواضعها وإلا فالهداية في سنّة النبي صلّى الله عليه وسلّم، قال الله تعالى: واتبعوه لعلّكم تهتدون» لكن من يضع الشيء في غير موضعه يضلّ ولذلك سمّى الله تعالى سنّة النبي صلّى الله عليه وسلّم في كثير من الآيات الكريمة بـ:«الحكمة» والحكمة وضع الشيء في موضعه.

وفي الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي{١٠٩/٢}، قال الشافعي:قيل لمالك بن أنس: إن عند ابن عيينة عن الزهري أشياء ليست عندك! فقال مالك: وأنا كلّ ما سمعته من الحديث أحدث به؟ أنا إذاً أريد أن أضلّهم.

قال الشيخ محمد عوّامة: فالتفقّه في السنّة على أيدي الأئمّة الفقهاء ومائدتهم منجاة من الزيغ والضلال بشهادة هذين الإمامين: ابن عيينة وابن وهب.

قال ابن وهب رحمه الله: كلّ صاحب حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضالٌّ.

قال ابن أبي زيد في كتاب الجامع{ص١١٧} وهو يعدّد عقائد أهل السنّة والحقّ وهديهم: والتسليم للسنن لا تُعارَض برأي، ولا تُدافَع بقياس، وما تأوّله منها السلف الصالح تأوّلناه وما عملوا به عملناه وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعهم فيما بيّنوا ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث ولا نخرج من جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله. وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيّنّاه وكلُّه قول مالك، فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه.

(أكثر هذا البحث مأخوذ من كتاب أثر الحديث الشريف مع تصرف)

قرار رقم: ٥٦ (١٠/٩) القرار التاسع بشأن موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب والتعصب المذهبي من بعض اتباعها.

« الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧م إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧م قد نظرَ في موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب المتبعة... .

واستعرض المجلس المشكلات التي تقع في عقول الناشئة العصرية وتصوراتهم حول اختلاف المذاهب الذي لا يعرفون مبناه ومعناه، فيوحي إليهم المضللون بأنّه مادام الشرع الإسلامي واحداً وأصوله من القرآن العظيم والسُّنة النبوية الثابتة متحدة أيضا، فلماذا اختلاف المذاهب؟ ولمَ لا تُوحَّد حتى يصبح المسلمون أمام مَذهب واحد، وفهم واحد لأحكام الشريعة؟كما استعرض المجلس أيضا أمر العصبية المذهبية والمشكلات التي تنشأ عنها، ولاسيما بين أتباع بعض الاتجاهات الحديثة اليوم في عصرنا هذا، حيث يدعو أصحابها إلى خط اجتهادي جديد، ويطعنون في المذاهب القائمة التي تلقتها الأمَّة بالقبول من أقدم العصور الإسلامية، ويطعنون في أئمتها أو بعضهم ضلالا، ويوقعون الفتنة بين الناس. وبعد المداولة في هذا الموضوع ووقائعه وملابساته ونتائجه في التضليل والفتنة، قرّر المجمع الفقهي توجيه البيان التالي إلى كلا الفريقين: المضللين والمتعصبين؛ تنبيهاً وتبصيرا:

... وأما الثاني: وهو اختلاف المذاهب الفقهية في بعض المسائل فله أسباب علمية اقتضته، ولله سبحانه في ذلك حكمة بالغة ومنها الرحمة بعباده وتوسيع مجال استنباط الأحكام من النصوص، ثم هي بعد ذلك نعمة وثروة فقهية تشريعية تجعل الأمة الإسلامية في سعة من أمر دينها وشريعتها، فلا تنحصر في تطبيق شرعي واحد حصراً لا مناص لها منه إلى غيره، بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت ما أو في أمر ما وجدت في المذهب الآخر سعة ورفقاً ويسراً، سواء أكان ذلك في شؤون العبادة أم في المعاملات وشؤون الأسرة والقضاء والجنايات على ضوء الأدلّة الشرعية، فهذا النوع الثاني من اختلاف المذاهب، وهو الاختلاف الفقهي، ليس نقيصة ولا تناقضاً في ديننا، ولا يمكن أن لايكون، فلا يوجد أُمة فيها نظام تشريعي كامل بفقهه واجتهاده ليس فيها هذا الاختلاف الفقهي الاجتهادي.

فالواقع أن هذا الاختلاف لا يمكن أن لا يكون؛ لأن النصوص الأصلية كثيراً ما تحتمل أكثر من معنى واحد، كما أنَّ النص لا يمكن أن يستوعب جميع الوقائع المحتملة؛ لأن النصوص محدودة، والوقائع غير محدودة، كما قال جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى، فلابد من اللجوء إلى القياس، والنظر إلى علل الأحكام، وغرض الشارع، والمقاصد العامة للشريعة، وتحكيمها في الواقع والنوازل المستجدة، وفي هذا تختلف فهوم العلماء وترجيحاتهم بين الاحتمالات، فتختلف أحكامهم في الموضوع الواحد، وكل منهم يقصد الحق ويبحث عنه، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، ومن هنا تنشأ السعة ويزول الحرج.

فأين النقيصه في وجود هذا الاختلاف المذهبي الذي أوضحنا ما فيه من الخير والرحمة؟ وأنه في الواقع نعمة ورحمة من الله بعباده المؤمنين، وهو في الوقت ذاته ثروة تشريعية عظمى، ومزية جديرة بأن تتباهى بها الأمَّة الإسلامية، ولكن المضللين من الأجانب الذين يستغلون ضعف الثقافة الإسلامية لدى بعض الشباب المسلم ولاسيما الذين يدرسون لديهم في الخارج، فيصورون لهم اختلاف المذاهب الفقهية هذا كما لو كان اختلافاً اعتقادياً؛ ليوحوا إليهم- ظلماً وزوراً- بأنَّه يدل على تناقض الشريعة، دون أن ينتبهوا إلى الفرق بين النوعين، وشتَّان ما بينهما.

ثانيا: وأما تلك الفئة الأخرى التي تدعو إلى نبذ المذاهب، وتريد أن تحمل الناس على خط اجتهادي جديد لها، وتطعن في المذاهب الفقهية ومزايا وجودها وأئمتها أو بعضهم، ففي بياننا الآنف عن المذاهب الفقهية ومزايا وجودها وأئمتها ما يوجب عليهم أن يكفوا عن هذا الأسلوب البغيض الذي ينتهجونه، ويضللون به الناس ويشقون صفوفهم، ويفرقون كلمتهم، في وقت نحن أحوج ما نكون إلى جمع الكلمة في مواجهة التحديات الخطيرة من أعداء الإسلام، بدلاً من هذه الدعوة المفرقة التي لا حاجة إليها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيراً والحمد لله رب العالمين « انتهى.

مكانة الجامعات الدينية ورسالتها

الكاتب قاسم حسيني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

أما بعد :

تحتل قضية التربية والتعليم مكاناً بارزاً في حياة جميع الأمم و الأمة الإسلامية خاصة، وتأخذ نصيبها الأساسي في جهود المصلحين، لأنّ لها آثاراً إيجابية أو سلبية مباشرة على الأمّة، ونتائج خطيرة على مختلف المستويات الفكريّة والسياسية والحضارية، ولهذا أولوها كامل عنايتهم، غير أنّ الأفكار البشرية ـ بحكم طبيعتها ـ اختلفت في كيفية علاج هذه القضية، ونوعيته وتنوعت في اعتبار ما هو الأنفع والأجدى، وبعدت الشقة والمسافة بينها حتى لم يلتق بعضها ببعض، حيث اتّجهت بعضها نحو الطرق التربوية التي تعتني بالناحية المادية والعلمية فقط، و اتجه الآخر نحو الخوض في الجانب الروحيّ بل التطرف فيه وجاء الإسلام فربط بين العقيدة والعلم رباطاً وثيقاً، ومزج بين التربية الروحية والجسدية مزجاً لا انفصام لهما كما قال ـ تعالى ـ :»إنما يخشى الله من عباده العلماء « (١)

لمّا ظهر الإسلام وقام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنشره بين الناس وتعليمهم، حاول تربية أصحابه روحياً فمادياً واستدام هذا النوع من التعليم والتربية في أشكال مختلفة في حلقات التعليم والتربية بالبيوت والمساجد والطرق و... ، و بعد ما طال العهد على هذا التعليم، بحث العلماء عن أساليب جديدة تربوية لأن الطالب كان يعاني كثيراً من المشقة والكآبة في سبيل العلم، كان المسكين طالب العلم يشق طرقاً مطولة لطلب العلم، يسافر من بلد إلى بلد ماشياً لاستماع الأحاديث، فيصيبه الجوع والظمأ والمرض وما لا يحسبه من الشدائد؛ وربما كان شاب يحب الدراسة ولكنه لايجد الأحوال مساعداً لِكثرة المعوقات في سبيل الدراسة؛ فبعد محاولات مضنية من قبل العلماء بنيت المدارس والجامعات في الشكل الذي نراها اليوم منتشرة في العالم يدرس فيها آلاف من الطلبة في راحة ورخاء.

فكما تبدو أنّ للمدارس والجامعات دور هامّ في سيناريو الحياة، و هي أمّ تربي أولاد المجتمع في حضانتها وهي بيت للأطفال منذ نعومة أظفارهم إلى أن يصيروا شبّاناً يسوقون سيارة أمّتهم إمّا إلى النّمو والرقي، وإمّا إلى التخلف والفشل، ويعود الفضل في ذلك إليها، لأنهم ترعرعوا في رعايتها.

كتابة هذا الموضوع كانت اقتراحاً من أستاذي الكريم الجليل، وبعد ما فكرت فيه وتعمّقت أدركته جديراً بالاهتمام والعناية لما فيه من تربية أبناء المسلمين.

فيا معشر القراء الكرام ما أقلّ اليوم عدد العلماء المخلصين والمصلحين في العالم الإسلاميّ؛هذه قضيّة أشغل بال كثير من المتفكرين من العلماء والعوام. وأنا أعللها في هذه الرسالة ببيان موجز: إنّي أعتقد أن السبب الأساسي والعامل الرئيسي في قلة أهل الصلاح والإصلاح هو عدم التفات المسلمين بالجامعات الدينية ورسالتها العظيمة والتساهل في أمر التعلم و التعليم الديني، في حين كانت الأعداء يبذلون ما في أكفافهم من جهد وطاقة ليعدلوا أبناء المسلمين عن الطريق القويم الذي ينتهي إلى هدفهم السامي الراقي، و إذا تلكّأ قادة الأمّة الإسلاميّة في تعليم شبابها يغتنم العدوّ الفرصة و يكرّ على المسلمين من هذا الصغر حتى يجعلها على شفا جرف من النار، وآلت الأمر إلينا في أسوأ شكلها، والأن يجب علينا أن نذلّل هذه الصعوبة و ننفس هذا الكرب عن حياة المسلمين، ولا يمكن دفعه إلا بشق الأنفس؛ فينبغي لنا أن نجتهد في تحصيل العلم كما حثنا سيد المرسلين ـ صلوات الله و سلامه عليه ـ : «أنّ العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر ومن سلك طريقا يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنّة « (٢)

نعم إخواني من يريد أن يدخل الجنة بسهولة فعليه أن يتجرع العلم على أيدي العلماء رويداً رويداً.

أيها القارئ الكريم اعلم بأن العلم إذا احتل مكان الجهل في المجتمع يحمله على معالي الأمور ويعين ذاك المجتمع في سبيل التنمية والرقي إعانة شاسعة ملموسة.

وإن العلم يؤتي صاحبه شرفاً وكرماً وعزّاً كما قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ :

« رأيت العلم صاحبه كريم ولو ولدتْه آباء لئام

وليس يزال يرفعه إلى أن يعظم أمره القوم الكرام « (٣)

الجامعات الدينية هي قلب الأمة الإسلامية الذي تحيى به، وهي مركز يخرج منه العلم وينتشر في العالم فلا بد من رعايتها والاهتمام بها، وأصحاب هذه الجامعات هم زعماء الأمة وعدوله،هم الذين يصلحون ما أفسد الناس، وهم الذين يحملون علوم الدين ويتدارسونه بينهم ويُعلّمونه الناسَ، ولايبالون أن يكابدوا في سبيل أداء رسالتهم أي مشقة، فتراهم لا يطيقون على ترك سنة من سنن النّبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ باخعين أنفسهم؛ فطوبى لهم طبقاً لقوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : «إنّ الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً،فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي.» (٤)

وهؤلاء أمناء الأمة وثقاته، وأرى من الواجب على الناس أن يساعدوهم في شؤونهم بالنفس والمال، وأن يشجعوا الجامعات على طيّ طريق التقدم والسعادة بإرسال أبناءهم الذكية إليها للدراسة والأدب.

ويلزم العلماء أن يدركوا موقفهم ومكانتهم في المجتمع، ويتعرفوا إلى واجباتهم تجاه الأمة، ويشمّروا عن ساعد الجد لإيفاء حقوق الناس وإنقاذهم من حافّة النار بإرشادهم وهدايتهم.

وفي الختام أسأل الله العظيم أن يجعل جامعاتنا مصدر الخير وسبلاً لانتشار السنة النبوية وجسرالنجاة يعبره الناس من الشقاوة إلى السعادة، ومن الكآبة إلى السعادة، ومن النار إلى الجنة.

---

(١)اقتباس من كتاب أيها الولد للإمام محمد بن محمد أبي حامد الغزا

(٢)رواه البخاري في كتاب العلم.

(٣)ديوان الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ

(٤)رواه الترمذي في كتاب الإيمان .

جمعها ورتبها حمزة خالدي نسب

مقدمة:

نحتاج أثناء حواراتنا وبحوثنا فهم مصطلحات ما يرتكز عليه الحوارات والكتابات ولأن فهم المصطلح مطلب مهم كي نخرج بتصور صحيح لمفاهيم أدبية والخطابية فقامت هذه فكرة على إيراد أهم المصطلحات الأدبية التي تهمنا والتي نتداولها لننير للقارئ الطريق، ولنقدم تعريفات لتلك المصطلحات التي ترد في حواراتنا وردودنا ونقاشاتنا، وهو شيء مهم جداً خصوصاً في ظل ورود مصطلحات جديدة في كل لحظة فنتابع عرض هذه المصطلحات بإذن الله في حلقات متواصلة في هذه المجلة أتمنى أن يحقق العمل أهدافه ، وأن يكون إضافة جديدة تستحق المتابعة والمشاركة من الجميع .و شكراً

الإبداع (الخلق)

في اللغة: أبدعت الشيء: اخترعته على غير مثال سبق

والمبدع هو: المنشئ أو المحدث الذي لم يسبقه أحد.

في القرآن الكريم: «بديع السماوات والأرض»: أي خالقها على غير مثال سبق.

الإبداع:

أن ترى ما لا يراه الآخرون

أن ترى المألوف بطريقة غير مألوفة

هو تنظيم الأفكار وظهورها في بناء جديد انطلاقاً من عناصر موجودة

إنه الطاقة المدهشة لفهم واقعين منفصلين والعمل على انتزاع ومضة من وضعهما جنباً إلى جنب

الإبداع طاقة عقلية هائلة، فطرية في أساسها، اجتماعية في نمائها، مجتمعية إنسانية في انتمائها

هو القدرة على حل المشكلات بأساليب جديدة تعجب السامع والمشاهد

الإبداع حالة عقلية بشرية تنحو لإيجاد أفكار أو طرق ووسائل غاية في الجدة والتفرد بحيث تشكل إضافة حقيقية لمجموع النتاج الإنساني كما تكون ذات فائدة حقيقية على أرض الواقع إذا كان الموضوع يرتبط بموضوع تطبيقي أو أن يشكل تعبيراً جديدا وأسلوبا جديدا عن حالة ثقافية أو اجتماعية أو ادبية إذا كان الموضوع فلسفيا نقديا أو ان يشكل تعبير ضمن شكل جديد وأسلوب جديد عن العواطف والمشاعر الإنسانية إذا كان الموضوع يتعلق بالنتاج الأدبي وأشكاله. ويمكن تعريفه اجرائيا أو شرطيا بانه إنتاج عقلي جديد ومفيد واصيل ومقبول اجتماعيا ويحل مشكلة ما منطقيا أو بما قبل الشعور.

يوضع الخلق في الأدب أحيانا مقابل المحاكاة أو المعرفة باعتباره نقيضهما. ولكنه ليس خلقا من عدم إذ يفترض مادة لغوية ومواضعات فنية تاريخية ومبادئ تشكيل سابقة قابلة لأن تتلقى العناصر والأبنية الجديدة التي يقدمها الخيال الخلاق. ويقف الخيال الخلاق في الأدب على قمة جديدة تنهض على التمثلات في الخبرة الإنسانية اليومية التي لا تخلو من فكر إبداعي. فتلك التمثلات هي صور تخيلية منصبة على الأشياء التي أدركناها حسيا في الماضي ولكنها لم تعد تؤثر في إحساساتنا الآن بل تستبقيها الذاكرة في صور يشكلها الخيال متحررا من تأثيرها المباشر معمما شهادة الحواس جميعها، مستفيدا من التصورات الذهنية المحصلة. وتأتي الصورة الفنية لتعيد تشكيل الترابط بين التمثلات، كما تعيد تشكيل التمثلات نفسها لإحداث انطباعات جديدة تستهدف غاية معينة ومثالا جماليا رفيعا وتتشبع بمقدرة على إثارة الانفعال. ولا تقف تلك الصور الفنية على التجميل الانفعالي لمكافئ ذهني جاهز. فلها حركتها الخاصة.

مراحل الإبداع:

يمر الابداع بعدد من المراحل هي:

١- الاعداد وهي مرحلة جمع المعلومات

٢- مرحلة الكمون وهي تمثل المعلومات وتوليفها شعوريا أو لا شعوريا

٣- مرحلة الاشراق وهي مرحلة خروج شرارة الابداع وبدء الابداع

٤- التحقيق والتنفيذ

الإحالة

إرجاع تعبير لغوي إلى ما يشير إليه خارج اللغة. وقد يعني ذلك أشياء أو عمليات أو أوضاع في الواقع. وترفض البنيوية إحالة العلامة اللغوية إلى مرجع خارجي وتقدم بدلا من المرجع أو المشار إليه تصور المدلول. وفي النقد الأدبي هناك اتجاه حديث يرى العمل الأدبي مكتفيا بذاته تام الاستقلال يقوم على محاوره الذاتية وحدها.

و قال د محمد محمد يونس علي:أعني بمصطلح الإحالة ما يعرف باللغة الإنجليزية reference، وربما ترجم هذا المصطلح بالإشارة، ولا ضير في ذلك من الناحية اللغوية المحضة، بيد أنه قد يسبب مشكلة اصطلاحية ومنهجية؛ لالتباسه بما يعرف في العربية بأسماء الإشارة، التي هي نوع واحد من أنواع الإحالة، ومن هنا يمكن القول إن العلاقة بين الإحالة والإشارة علاقة عام بخاص؛ إذ كل إشارة إحالة وليس كل إحالة إشارة. وتتحقق الإحالة في العربية بالضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة، والتعريف بأل، والمقارنة، وسنتعرض لكل نوع منها بالدراسة والتمثيل والتحليل.

ويمكن القول إن الإحالة هي علاقة بين عنصر لغوي وآخر لغوي أو خارجي بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني؛ ولذا فإن

فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها نص ما يقتضي أن يبحث المخاطب في مكان آخر داخل النص أو خارجه. وعلى سبيل المثال، فإن قوله تعالى: «قال بل فعله كبيرهم هذا»لا يمكن أن يفهم إلا بتحديد مراجع الكلمات الإحالية فيها، وهي: الضمائر في «قال» و«فعله»، و«هم»، واسم الإشارة». وليس ثمة علامة صرفية أو نحوية أو معجمية في العنصر المحيل نفسه يمكن أن يساعد المخاطب في تحديد المرجع المقصود، ولا في معرفة كون المرجع جزءا من النص، أو جزءا من مقام التخاطب. ومع ذلك، يمكن للمخاطب - اتكالا على السياق أو المقام بمفهومه الواسع- أن يحدد الأشياء أو الأشخاص، أو العناصر اللغوية التي تحيل عليها العناصر المحيلة.

ومن أمثلة الإحالة بأداة التعريف «ال» في قوله تعالى: :

«وأرسلنا إلى فرعون رسولا، فعصى فرعون الرسول»،(فقد أحالت كلمة «الرسول» على كلمة «رسولا»).

ومن أمثلة الإحالة بالمقارنة قوله تعالى:

«قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر»

فقد ربطت كلمة أكبر (التي هي لفظ من ألفاظ المقارنة) الجملة الثانية بالأولى؛ لأنه لا يكون الشيء أكبر إلا بالموازنة بشيء آخر، ولا يعرف ذلك الشيء الآخر إلا بالرجوع إلى ما سبق في الآية، ومن هنا تتحقق فكرة اعتماد أجزاء النص بعضها على بعض، وعدم استغناء أحدها عن الآخر.

ويفرق الباحثون بين الإحالة الخارجية والإحالة الداخلية ويُقصد بالإحالة الخارجية ذلك النوع الذي يوجّه المخاطب إلى شيء أو شخص في العالم الخارجي. أما الإحالة الداخلية فتستخدم لتدل على ذلك النوع الذي يحال فيه المخاطب على عنصر لغوي داخل النص.ويمكن التمثيل للنوع الأول باسم الإشارة «هذا» الذي ورد في الآية السابقة، وأشير به إلى كبير الأصنام، التي جعلوها آلهة، وهذا النوع من الإحالة لا يمنح النص سمة التماسك؛ لأنه لا يربط عنصرين معا في السياق. وأما النوع الثاني فيمكن التمثيل له من الآية نفسها بالضمير «هم» في قوله تعالى: «كبيرهم» الذي يحيل على الآلهة، التي وردت قبل ذلك في قوله: «قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم».

ومن اللطائف أن تتعدد الإحالات، كما في الإحالة بالضمير «ه» في «فعله» على «هذا» في قوله تعالى: «قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم»، وأحيل بـ «هذا» على كسر الأصنام.، فاجتمعت إحالتان الأولى منهما داخلية، والأخرى خارجية.

وقد تكون الإحالة الداخلية على متقدم وهو الأصل في العربية، كما في قوله تعالى: «ولقد آتينا إبراهيم رشده»

حيث أشير بالهاء إلى «إبراهيم» عليه السلام المتقدم الذكر، وقد تكون على متأخر،وهو قليل لا يتعدى مواضع معينة سنشير إليها في مبحث قادم، ومنه ما يعرف بضمير الشأن أو القصة، كما في قوله تعالى:

«فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور».

التي يحيل فيها الضمير «ها» على المحتوى الدلالي المفهوم من الكلام بعدها، وهو أن العمى الحقيقي إنما هو عمى القلوب، وليس عمى الأبصار.

ولعل من المفارقات الجديرة بالملاحظة أنه كلما زادت الإحالات في الجملة (كما في آية كسر الأصنام السابقة)، زاد اعتمادها على غيرها في فهمها، واضمحل استقلالها بنفسها، فتزايدت قوتها الربطية، والتعلقية، وقدراتها التماسكية، وكل ذلك يدعم سمة النصية في الكلام المؤلف.

الأدب

في اللغة العربية يعني الأدب من حيث الأصل اللغوي الدعوة إلى الطعام و هو المأدبة وسمي «بالأدب» توسعا بعد ذلك القول الذي «يأدب» أي يدعو الناس إلى المحامد أو التحلي بالخلق الفاضل أو القيام بأمر جلل. واتسع المعنى في العصرين الأموي والعباسي ليشمل التعليم والتهذيب. فقد كان الأدب شديد الرحابة يضم أنواعا من المعرفة بالإضافة إلى صناعة الكلام البديع (عند الجاحظ)، فهو عند المبرِّد يشمل الكلام المنثور والشعر والمثل السائر والموعظة والخطبة والرسالة، وكما يشمل عند آخرين أخبار العرب وأنسابهم. وداخل ذلك الاتساع بدأت عناصر نوعية في البروز، فعند ابن خلدون كان الأدب هو الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم وإن ظل بمعنى الأخذ من كل علم بطرف.

وكان الوضع في الغرب مشابها لذلك، فقد انتقل من كتلة الأعمال المكتوبة إلى الأعمال التي تستحق المحافظة عليها باعتبارها جزءا من إعادة الإنتاج الجارية للمعاني داخل ثقافة معطاة. وفي منتصف القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر مع صعود الطبقة الوسطى وهيمنتها وفرضها التخصص على سائر مجالات الحياة، أصبح للأدب نطاق محدد يعتمد على الفرد والذات. وانفصل الأدب بمعاييره الخاصة بالإبداع والخيال والقيمة الجمالية عن الأعمال المرتبطة بالإحالة الواقعية والعملية، عن أعمال العلم والتعليم والخطابة والدعاية والفلسفة والتاريخ. فانتقل الأدب من توصيل المعارف وتهذيب السلوك إلى الذوق أو الحساسية كمعيار لتحديد الخاصية الأدبية، وإلى المخيلة الإبداعية كملكة متميزة. أي أن التأليف اللغوي الأدبي أصبح متخصصا في التجربة الحسية والتجربة الانفعالية للفرد وليس في القضايا الفكرية، كما تخصص في إبداعات المخيلة وليس في المسائل الواقعية النفعية. ولم يعد الأدب يستهدف الإقناع أو الحث على الفعل المؤثر أو الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي بل إحداث اللذة الجمالية، وما سبق يتعلق بالاتجاه السائد، ولكن مفهوم الأدب يظل فضفاضا يفتقر إلى تعريف يلتف حوله الجميع. وهناك التعريف الإشاري الذي يضع في اعتباره كتلة الأعمال التي اصطلح على أنها أدبية طوال التاريخ من ملاحم ومآس وأعمال درامية وغنائية وروائية، وهو تعريف قاصر لأن تلك الأعمال المقرة اختلفت باختلاف المجتمعات والعصور، كما أن هناك أعمالا حدودية تقع على الخط الفاصل بين الأدب واللاأدب في بعض الفترات (الرواية عند نشأتها، الحكايات الشعبية والسير).

الأدب العالمي

المصطلح ألماني قدمه جوته (١٨٢٧) ليعني الأدب الصادر عن كل الأمم والشعوب،

ويتوسط بينها عن طريق التبادل والتفاعل لإثراء روح الإنسان بتجاوزه حدود قوميته. والأدب العالمي ليس نقيضا أو بديلا للآداب القومية، كما أنه ليس حاصل جمع تلك الآداب. فهناك تيارات أدبية عالمية تظهر لدى عدد من الشعوب في الفترة نفسها أو في فترات زمنية متقاربة، وهناك تقاليد أدبية دخلت المسار العالمي وتمثلتها الآداب القومية المتعددة وكان لها تأثيرها الملموس عليها، وهناك الأعمال التي لقيت الانتشار خارج حدود منطقتها اللغوية لقيمتها الفنية الرفيعة. إن التيارات الشاملة الثقافية والأدبية رومانتيكية واقعية ورمزية وسيريالية ، والتقاليد الشاملة (الأشكال والشفرات والأدوات والمواضعات) والروائع الأدبية وإن نشأت على أرض قومية بالضرورة، تتخطى تلك الحدود، وتشكل عناصر في بنية دائمة التطور هي بنية الأدب العالمي، تستمد خصوبتها لا من آداب اللغات الأوروبية وحدها، بل من آداب لغات العالم جميعا. فلا وجود لأدب عالمي خارج الإسهامات القومية المتعددة.

الأدب المقارن

دراسة وتحليل العلاقات وأوجه الشبه بين آداب الأمم والشعوب المختلفة. وهو تخصص حديث بدأ في مطلع القرن التاسع عشر. ويدرس المشترك العام بين الخصوصيات القومية في الإنتاج الأدبي، سواء أكان ذلك المشترك ناجما عن اتصال وتأثير وتأثر وتفاعل بين الآداب القومية المتنوعة، أو كان ثمرة لنمو تلقائي وتواز مستقل في المواضيع والمعالجات.

وهناك اتجاه يركز على تأثير الآداب بعضها في بعض، تأثير في مواضيع التناول ونشأة أنواع جديدة (الدراما والرواية في الأدب العربي) وصيغ أسلوبية (الشعر الحر) وتأثير شخصيات بارزة (موباسان وتشيخوف في السرد العربي).

واتجاه آخر يحد من نطاق التأثير ويعلي من شأن التطور الداخلي للأدب القومي، ويرى أن الأوضاع المتشابهة بين قوميتين من حيث الاحتياجات الروحية تؤدي إلى نتائج أدبية متشابهة، فلم يهتم الأدب العربي بالرواية والدراما قبل نشأة فردية الطبقة الوسطى كما أن استيعاب العناصر الأجنبية يتطلب تهيؤ الأرض المحلية لاستقبال البذرة ودرجة نضج داخلية وانبثاق أسئلة تقدم التأثيرات الخارجية إجابة عنها.

ويرى هذا الاتجاه أن هناك في الآداب المختلفة تشابها منتظما للظواهر في المراحل المتعاقبة، مثل إمكان تعاقب تيارات أدبية معينة من مدرسة الإحياء والكلاسيكية الجديدة إلى الرومانسية والواقعية والمدارس الطليعية، حيث يكون التأثير الخارجي حافزا إضافيا. كما أن هناك تشابها منتظما في الجدل النقدي حول القديم والجديد، واتباع عمود الشعر أو كسره، وإنتاج صيغ أسلوبية متماثلة وأشكال نوعية مشتركة. (مثل رواية الأجيال وقصيدة النثر). وترجع هذه التشابهات المنتظمة إلى توفر شروط داخلية محددة، كما أن التجانس لا يكون مكتملا. فالتيارات الرئيسية العالمية تكتسب طابعا قوميا في كل أدب، وبعض الآداب قد تكون أكثر نموذجية في تعبيرها عن تيار بعينه، أو قد تختلط داخلها التيارات (رومانسية محملة بعناصر واقعيةأو العكس، وواقعية(تستفيد من تقنيات حداثية).

ويعاني الأدب المقارن من نزعة المركزية الأوروبية، التي تضع علامة التساوي بين الأدب العالمي والأدب المكتوب بلغات أوروبية (الآداب الأوروبية وآداب الأمريكيتين وبعض آداب آسيا وأفريقية المكتوبة بلغة أوروبية). وهذه النزعة تعتبر أن أدب العالم الغربي يشكل وحدة متكاملة هي التي تجسد وحدة الخيال البشري طول التاريخ، والخصائص الأبدية للأدب، كما أن هذا الأدب الغربي هو معيار المقارنة ومثالها لكل الآداب الأخرى.

ويبرز في العالم العربي اتجاه يرفض هذه المركزية الأوروبية كما يرفض الانغلاق القومي، ويقيم أسسه على الخصوصية المتفتحة المتفاعلة مع الأدب العالمي ولا يغفل عقد المقارنات مع آداب آسيا وأفريقيا الحديثة والتراثية.

الاستطراد

يقول الجرجاني،هو سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض. وفي بعض التفاسير، مثال الاستطراد هو أن يذهب الرجل إلى موضع مخصوص صائدا، فعرض له صيد آخر فاشتغل به وأعرض عن السير إلى ما قصد وأشباهه.(محمد علي التهانوي. ج١، ص ١٥٥)

في الاستعمال الأدبي يعني المصطلح فقرة أو جزءا معينا ينحرف عن الموضوع الرئيسي أو الحبكة الأساسية. فيقال يُكْثِرُ مِنَ الاسْتِطْرادِ في كِتاباتِهِ « أي يَنْتَقِلُ مِنْ حَديثٍ رَئِيسٍ أَورَئِيسِيٍّ إلى آخَرَ ثانَوِيٍّ لِتَفْسِيرِ آرائِهِ وَدَعْمِها بِبُرْهانٍ .

و جاء في معجم اللغة العربية المعاصر أن يأخذ المتكلّم في معنى ، وقبل أن يتمّه يأخذ في معنى آخر ، أو هو نوع من تجميل الكلام ، وقد تكون وظيفته الاستعطاف أو إثارة الغضب أو تفنيد حجج المعارضة .و في قصائد المعلقات و غيرها من الشعر العربي تكثر الاستطرادات و هو فن من الفنون التعبيرية اللغوية العربية الأصيلة و كذلك في القرآن الكريم هناك استطرادات كثيرة.

الاستعارة الشعرية

الاستعارات هي أشكال توصيل المعنى بالتشبيه أو بالشرح أو تفسير شيء وفقاً لشيء آخر (مثل:حبي وردة حمراء) كما أن التشبيهات توصيل تشبيه، أما التشبيه الضعيف فيستخدم أدوات التشبيه (ك) وكأن(حبي كأنه وردة حمراء) ويعرف معنى ويتعلم الاستعارة والتشبيه في حصص الأدب حيث يوصف كل من الاستعارة والتشبيه كلغة مجازية وتفترض أن الاستعارات لا يتم استخدامها سوى للأغراض الشعرية أو الأدبية كما أنها تفترض أن الاستعارات ما هي إلا ظاهرة غير مهمة نسبياً.

فالمفاهيم التي تحكم فكرنا ليست أموراً عادلة للذكاء والفكر فهي تحكم أيضاً أداءنا اليومي حتى في أدق التفاصيل وتشكل مفاهيمنا حول ما نراه وكيف نسير في هذا العالم وكيف نرتبط بالآخرين وهكذا فإن نظامنا الاستيعابي يلعب دوراً رئيسياً في تعريف واقعيات حياتنا اليومية.

إذن تلعب الاستعارة دوراً بالغ الأهمية في الأسلوب الذي نفكر به ونعمم تفكيرنا وهي ليست مجرد وسيلة لغوية يستخدمها الشعراء وغيرهم من الكتاب لتعميم أنواع معينة من الاستجابات العاطفية بل إنها

جزء أساسي من الأسلوب الذي يفكر به الإنسان ويتصل به.

فلايعبر الشعر عن المعنى من خلال التجريدات بل من خلال الجزئيات العينية ذات الأهمية القصوى التي لا تقتصر على التجميل. وتعقد تلك الصور مقارنات من أنواع مختلفة ومن ثم فهي وسائل مهمة من وسائل التفسير. وتؤثر الصور في المعنى بطرق مختلفة غير مباشرة، لذلك يصعب تقديم تعريف دقيق أنيق لوظيفتها. ولم يعد القول العتيق بأن الاستعارة أو التشبيه وظيفتهما الإيضاح والتجميل صالحا، وتبدو الاستعارة وكأنها تقدم وصفا بديلا، وصفا أبسط وأكثر ألفة وأيسر استيعابا. حقا أن المقارنة الاستعارية غالبا ما تقوم بذلك، ولكنها الوسيلة الوحيدة في الشعر التي يستطيع بها الشاعر أن يصف لنا الموقف الذي يريد تقديمه، وقد تكون المقارنة دقيقة وعميقة.

فإحدى وظائف الاستعارة هي اكتشاف الحقيقة لا توضيحها فحسب بمعنى تبسيطها. كما أن التجميل يتضمن شيئا من التزييف الجزئي (أي إضافة تلوين خاص أو زخرفة خاصة) ولكن للمقارنة الاستعارية وظيفة بنائية، فهي الطريقة الوحيدة المتاحة أمام الخطاب وهي جزء من أساس القول وليست زائدة تجميلية، وليست الاستعارات ذات الفاعلية في حاجة إلى أن تمضي أو تشير إلى موضوعات جميلة، فبعض موضوعاتها محايد أو دميم (كما في الهجاء).

ويخطئ الإيضاح والتجميل الهدف باعتبارهما الوظيفة الأساسية للاستعارة. فالاستعارة وسيلة للحدس والاستبصار وهي أداة للخلق وليست قشرة يمكن نزعها عن لب موجود بدونها، وهي جزء بنائي لا يمكن فصله عن القصيدة كما لا يمكن التعبير بأشياء غيرها. إنها ترتبط بالمعنى الكلي المكتمل للقصيدة ارتباطا مرنا مرهفا، وليست الاستعارات أدوات ميتة خاملة تبعد القارئ عن قلب القصيدة ببهرجها الخاص كأجزاء من زينة غبية لا تلفت النظر إلا إلى نفسها، فوظيفتها الإضافة إلى المعنى الكلي وخلقه داخل سياق خاص.

و حسب الدرس البلاغي هناك أركان و أنواع الاستعارات فالأركان ثلاثة:

١ ـ المستعار منه، وهو المشبّه به.

٢ ـ المستعار له، وهو المشبه، ويقال لهذين: (طرفا الإستعارة) .

٣ ـ المستعار، وهو اللفظ المنقول.

ففي (رأيت أسداً يرمي) المستعار منه: الحيوان المفترس، والمستعار له: زيد، والمستعار: لفظ أسد.

و لدراسة الأنواع يلزم الرجوع الى كتب البلاغة ...

الأسلوب

هو الطريقة المخصوصة في استعمال اللغة التي تميز مؤلفا أو مدرسة أو فترة أو نوعا أدبيا . ويمكن تعريف الأساليب المحددة بواسطة أدائها اللغوي ومعجمها وتركيبها وصورها وإيقاعها واستعمالها للأشكال المجازية وغير ذلك من السمات اللغوية، وقد سميت أنواع من الأسلوب، باسم مؤلفين معينين (أسلوب شيشيرون، أسلوب بديع الزمان الهمذاني، أسلوب الجاحظ) وباسم فترات (الأسلوب الجاهلي، الأسلوب العباسي أسلوب عصر النهضة. الأسلوب الحديث)، وباسم مجالات (أسلوب علمي) أسلوب صحفي، أسلوب شعري) وباسم مدارس فنية (الأسلوب القوطي الأسلوب الباروكي ، الأسلوب الواقعي الأسلوب الكلاسيكي . وفي العربية تدل الكلمة على الطريق الممتد، والوجه والمذهب، وعلى الفن فأساليب القول هي أفانينه.

وتعني الكلمة في أصلها اللاتيني أداة الكتابة. وعلى الرغم من أن الكلمة غير قابلة للتعريف الدقيق فإنها تقترب الآن من وصف الخصائص المميزة لنص أدبي والمتعلقة بشكل التعبير أكثر من تعلقها بأي فكرة يقوم النص الأدبي بتوصيلها، بالإضافة إلى أن الأسلوب يشير إلى طرائق الكاتب الفرد المميزة له، وهو بذلك وصفي يختلف عن البلاغة ذات الطابع المعياري العام، وقد أخذ الأسلوب الفردي أكبر اهتمام في الدراسات الأسلوبية الحديثة.

الأَصَالة

الأَصَالة في الرأي : جودته . و الأَصَالة في الأُسلوب : ابتكاره . و الأَصَالة في النسب :عراقته (المعجم: المعجم الوسيط)

أصل - يأصل ، أصالة أصل - يأصل ، أصالة أصل - يأصل ، أصالة :١ - أصل : صار له أصل . ٢ - أصل : كان من أصل شريف . ٣ - أصل الرأي : جاد ، ثبت ، وضح (المعجم: الرائد)

أصالة - و إصالة: ١ - مصدر أصل . ٢ - « أصالة الرأي »: جودته .٣- « أصالة النسب »:رسوخه ،نبله . ٤ - « بالأصالة عن نفسي » باسمي ، بصفتي الشخصية(المعجم: الرائد)

أصالة - أَصالَةٌ :[أ ص ل]. (مصدر أَصُلَ).١ .» أَصالَةٌ في الرَّأْيِ «: جَوْدَتُهُ ، إِحْكامُهُ . ٢ .» يَمْتازُ بِأَصالَةِ الأُسْلوبِ « : بابْتِكارٍ في الأُسْلوبِ .٣ .» أَصالَةُ النَّسَبِ « : عَراقَتُهُ (المعجم: الغني)

أصالة :مصدر أَصُلَ: أصالة الثَّقافة العربيّة : سماتها الأصليَّة المميّزة ، - أصالة العمل الفنِّيّ : تميُّزه بالإبداع والابتكار ، - بالأصالة عن نفسي / أصالةً عن نفسي : باسمي الشَّخصيّ .

الأصالة : (آداب) مقدرة الأديب على أن يفكِّر وأن يعبِّر عن ذات نفسه بطريقة مستقلّة (المعجم: اللغة العربية المعاصر)

أَصُلَ يَأْصُل ، أَصالةً أَصُلَ يَأْصُل ، أَصالةً أَصُلَ يَأْصُل ، أَصالةً ، فهو أَصيل:أَصُل النَّسبُ شرُف ، كان أصيلاً .

أَصُل الرَّجُلُ : كان من أصل شريف . أَصُل الأسلوبُ : كان مُبتكرًا مميَّزًا وجيِّدًا « بحث أصيل ، - فكرة أصيلة ، - اعتمد أسلوب الأديب أوّلا على المحاكاة ، ثم أخذ يأصُل شيئًا فشيئًا «.أَصُل الرَّأيُ : جاد واستحكم « من أَصُل رأيُه استشاره الناس ، - أصالةُ الرَّأي صانتني عن الخَطَل «.(المعجم: اللغة العربية المعاصر)

و هي المحافظة على السمات العريقة المميزة لثقافة ما، وفي الأدب تعني المحافظة على التقاليد التاريخية للأجناس الأدبية والعمل على تطويرها من داخلها مع استبقاء أسسها والإخلاص لروحها.

ففي الشعر قد تعني الأصالة استلهام البحوروالتفعيلات وتطويعها للتجربة العصرية، وفي القص قد تعني الإفادة من التراث السردي كما في كتاب ألف ليلة و ليلة وفي السيرة الشعبية (التغريبة) والكتابة التاريخية ومواقف المتصوفة والمقامة

والحكاية وأدب الرحلات...إلخ. كما فعل نجيب محفوظ في رحلة ابن فطومة وجمال الغيطاني في الكثير من أعماله.

الانتحال

معنى الانتحال:لغة : نحل الشيء أعطاه أو وهبه أو خصه به و انتحل الشيء ادعاه لنفسه وهو لغيره فهو المنتحل.

اما في موضوع الشعر:

١- النحل/ نسبة شعر رجل إلى رجل آخر.

٢- الانتحال/ ادعاء الشعر.

٣- الوضع / أن ينظم الرجل الشعر ثم ينسبه إلى غيره.

فهده الكلمة تعني الوضع و السرقة الأدبية و الاختلاس فهي أخذ أو محاكاة للغة ومعاني مؤلف آخر وتقديمها كما لو كانت من بنات أفكار السارق وفي الاتينية تعني المختطف، ونطاقه يمتد من ذكر المعاني بألفاظ مختلفة غير ملائمة إلى السرقة السافرة كما أن الاقتباس أو الاقتراض من الأصل إذا لم يطرأ عليه تحسين على يدي المقتبس يعتبر انتحالا.

الانطباعية(التأثرية)

لانطباعية هى مدرسة أدبية فنية، ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا، ترى في الإحساس والانطباع الشخصي الأساس في التعبير الفني والأدبي، لا المفهوم العقلاني للأمور. ويرجع ذلك إلى أن أي عمل فني لا بد من أن يمر بنفس الفنان أولاً، وعملية المرور هذه هي التي توحي بالانطباع أو التأثير الذي يدفع الفنان إلى التعبير عنه، فالانطباعية من هذه الوجهة هي محاولة للتعبير عن الأحاسيس الفورية للعالم والأحداث.

يحاول رسامو الانطباعية تقليد الضوء عندما ينعكس على أسطح الأشياء، ويحققون ذلك باستخدام الألوان الزيتية في بقع منفصلة صغيرة ذات شكل واضح، بدلاً من خلطه على لوحة الألوان، وفضَّل الانطباعيون العمل في الخلاء لتصوير الطبيعة مباشرة، وليس داخل جدران المرسم، وأحياناً كانوا يقومون برسم نفس المنظر مرات عديدة في ظروف جوية مختلفة، لإظهار كيف تتغير الألوان والصفات السطحية في الأوقات المختلفة.

نزعة أدبية لا تشدد النبر على الواقع بل على انطباعات الكاتب أو إحدى الشخصيات.

فهي نظرية أدبية (أو فنية عموما) تذهب إلى أن الهدف الأساسي للأدب هو تفسير ما يطرأ على الذهن والوجدان والضمير لا تقديم أوصاف تفصيلية للمناظر والأحداث. وتتخلى الانطباعية عن التصميم العام وعن التأثير الإيهامي المكتمل، وهي أسلوب شخصي في الكتابة يطور به الكاتب الشخصيات ويرسم المناظر كما تبدو له في لحظة معينة بدلا من تقديمها كما هي في الواقع أو كما قد تكون في الواقع. وهي نزعة ذاتية تنصب على التأثيرات المتغيرة للون والجو وتجعل من تصيد الانطباعات هدفا في ذاته وتبتعد عن تصوير الأعماق والأوجه الجوهرية النموذجية .

الأيدلوجية

قد تعني في الاستعمالات العامة:

١-نسق معتقدات ينتمي إلى فئة أو طبقة اجتماعية .

٢- نسق أفكار زائفة أو وعي زائف في مقابل المعرفة الصحيحة التي يمكن التحقق منها.

٣- نظاما من العلامات ينتج معاني وأفكارا حول المجتمع والسلطة.

ومن الشائع في الأدب رفض الإيديولوجية بأى شكل من أشكالها باعتبارها فرضا لتجريدات مثالية على التجربة الحية، وباعتبارها تغليبا للسياسي على الأدبي. ولكن هناك اتجاهات مختلفة تعتبر الإيديولوجية ماثلة بالضرورة على نحو مضمر في كل عمل أدبي، فهي شبكة تصورات وقيم وأخيلة تتعلق بالوضع البشري والطبيعة البشرية والمسعى الإنساني والعلاقات الإنسانية المتصارعة. وتتعلق الإيديولوجية كذلك بالشكل فكل ترتيب للعناصر يتضمن افتراضات عن المعنى ونوعيته أو عن غيابه وهذه الاتجاهات عن ضرورة الإيديولوجية تقسم الإيديولوجية إلى دوائر مختلفة سياسية وفلسفية ودينية وجمالية تناظر علاقات اجتماعية محددة ، كما تذهب إلى أن لكل دائرة استقلالها الذاتي رغم التفاعل فيما بينها ، وبالإضافة إلى ذلك تفرق تلك الاتجاهات بين إيديولوجية الكاتب أو الشاعر وإيديولوجية النصوص التي ينتجانها. إن آليات الإنتاج الأدبيوالتلقي الأدبي ترتبط عند هذه الاتجاهات بالصراع بين القيم الجمالية السائدة أو البازغة أو المقموعة وكلها لها علاقة ما بالفئات الاجتماعية وإيديولوجياتها. وفي النقد العربي كان النقد الإيديولوجي عند محمد مندور يدعو إلى الوظيفة الاجتماعية للأدب، التي تهتم بالقضايا العامة وبالنواحي السياسية والاجتماعية. ولكن هذا النقد كان يفرق بين الأدب والدعاية، ويهتم بالقيم الجمالية.

المصادر و المراجع:

١- إبراهيم فتحي،معجم المصطلحات الأدبية،التعاضدية العمالية للطباعة،تونس،ط الأولى ١٩٨٦م.

٢- أحمد مطلوب،معجم النقد الأدبي القديم،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،١٩٨٩م.

٣- للدكتوران طارق السويدان ومحمد أكرم العدلوني، مبادئ الابداع.

٤- جبور عبد النور،المعجم الأدبي،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان، ط الثانية ١٩٨٤م.

٥- سعيد علوش،معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة،دارالكتب اللبناني،بيروت لبنان ،ط الأولى ١٩٨٥م ١٤٠٥هـ

٦- محمد تونجي،المعجم المفصل في الأدب،دارالكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط الثانية١٩٩٢م ١٤١٨هـ

٧- إميل بديع يعقوب و ميشال عاصي،المعجم المجم المفصل في اللغة و الأدب،دارالعلم للملايين،بيروت لبنان،ط الأولى١٩٨٧م.

٨- مجدي وهبة و كامل المهندس،معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب،مكتبة لبنان،ط الثانية ١٩٨٤م.

٩- محمد علي التهانوي،موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية جورج زيناتي.

مواقع الويب:

http://ar.wikipedia.org/wiki

http://www.ta٥atub.com

http://www.almaany.com

http://www.almaten.info

com.http://forums.roro٤٤

http://elto٧fageyya.com

{ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا }

(آل عمران:٩٧)

الكاتب: دين محمد محمدالق

الحج شعار الوحدة

الحج شعار الوحدة والمساواة والأخوّة:

قال الله تبارك وتعالى: «وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق».(١)

قبل أن نتطرّق في البحث أرى من اللازم والواجب أن أعرّفكم الحج لغةً واصطلاحاً؛ أما الحج في اللغة،هو القصد. وفي الاصطلاح: هو قصد التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنّةً.(٢)

الحج فريضة من فرائض الإسلام:

إنّ الحج ورد في الآيات والأحاديث كثيراً وهو من أهم أركان الإسلام الخمسة ودعائمه حيث قال الإمام علاء الدين الكاساني في كتابه القيّم «بدائع الصنائع»: الحج فريضة ثبتت فرضيّته بالكتاب، والسنّة، وإجماع الأمّة والمعقول، أما الكتاب، فقوله تعالى:« ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين»(٣) في الآية دليل وجوب الحج من وجهين: أحدهما أنه قال: «ولله على الناس حج البيت» و«على» كلمة إيجاب. والثاني: أنه قال: «ومن كفر»(٤) قيل في التأويل: ومن كفر بوجوب الحج، حتّى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أي: ومن كفر بوجوب الحج فلم ير حجه برّاً ولا تركه مأثماً، وقوله تعالى لإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «وأذّن في الناس بالحج» قيل: أي: ادع الناس، وناديهم إلى حج البيت، وقيل: أي؛ أعلِم الناس أن الله فرض عليهم الحج، دليله قوله تعالى:«يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر».

وأما السنّة، فقوله صلّى الله عليه وسلّم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»(٥) وقوله صلى الله عليه وسلّم:«اعبدوا ربكم، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم وحجّوا بيت ربكم، وأدّوا زكاة أموالكم طيّبة بها أنفسكم تدخلوا جنة ربكم»(٦) وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:«من لم يمنعه عن الحج حاجة ظاهرة، أو سلطان جائر، أو مرض حابس فمات ولم يحج، فليمت إن شاء يهوديّاً، وإن شاء نصرانيّاً».(٧)

وأمّا الإجماع، فلأنّ الأمّة أجمعت على فرضيته، وأما المعقول فهو أن العبادات وجبت لحق العبوديّة، أو لحقّ شكر النعمة؛ إذ كل ذلك لازم في العقول، وفي الحج إظهار العبوديّة وشكر النعمة.

وأما كيفيّة فرضه، فمنها أنّه فرض عين لا فرض كفاية، فيجب على كل من استجمع فيه شرائط الوجوب عيناً لا يسقط بإقامة البعض عن الباقين، بخلاف الجهاد؛ فإنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

ومنها؛ أنّه لا يجب في العمر إلا مرّة واحدة، بخلاف الصلاة والصوم والزكاة.(٨)

الحج هو مظهر عشق الإلهي:

إنّ صلة هذا الإنسان بربّه، ليست صلة قانونيّة، عقليّة فحسب

يقوم بواجباته ويدفع ضرائبه، ويخضع أمامه، ويطيع أوامره وأحكامه، إنّما هي صلة حبّ وعاطفة كذلك، صلة لابدّ أن يرافقها، ويقترن بها، ويتحكم فيها حنان وشوق، وهيام ولوعة، وتفانٍ وتهالك، والدين لا يمنع من ذلك، بل يدعو إليه، ويغذيه ويقوّيه.(٩)

يقول الغزّالي:« فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة، هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ما له إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فبالحري أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل».(١٠)

ويردفه شيخ الإسلام أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي، فيشير إلى نفس النكتة، ويجعلها حكمة النفس الأساسيّ، فيقول:«وربما يشتاق الإنسان إلى ربّه أشد شوق، فيحتاج إلى شيء يقضي به شوقه فلا يجد إلا الحج»(١١)

«واعلم أنّك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة، وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان، وتقصم به ظهره، إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيماً له بمجرّد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه».

ويقول في الذبح: «فاعلم أنّك تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال، فأكمل الهدي، وارجُ أن يعتق الله بكلّ جزء منه جزءاً منك من النار، فهكذا ورد الوعد، فكلّما كان الهدي أكبر وأجزاؤه أوفر، كان فداؤك من النار أعم».(١٢)

أسرار الحج

والحج انتصار للقوميّة الإسلاميّة على القوميّات الوطنيّة والعنصريّة واللسانية التي قد يصبح بعض الشعوب الإسلاميّة فريستها تحت ضغط عوامل كثيرة، وهو إظهار لشعار هذه القوميّة، فتتجرد جميع الشعوب الإسلاميّة عن جميع ملابسها وأزيائها الإقليميّة التي تميز بعضها عن بعض ويتعصب لها أقوام؛ وتظهر كلها في مظهر واحد يسمّى (الإحرام) في لغة الدين والفقه وفي مصطلح الحج والعمرة، حاسرة رؤوسها ما بين رئيس ومرؤوس، وصغير وكبير،وغنيّ وفقير، وتهتف كلّها في لغة واحدة، ونغمة واحدة،«لبيك اللهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» وهكذا تتجلّى القوميّة الإسلاميّة في اللباس والهتاف، وهما من أوضح ما تجلّت فيه قوميّة، وفي وحدة المناسك والغايات التي يقوم بها جميع الأفراد والشعوب، ويسعى إليها العرب والعجم، ويلتقي عليها القاضي والداني، فكلّهم يطوفون حول بيت واحد، ويسعون بين غايتين مشتركتين(الصفا والمروة)، وكلّهم يقصدون (منى)،وكلّهم يؤمّون (عرفات) ويقفون في موقف واحد، وكلّهم يبيتون في مبيت واحد،(فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام، واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين) ويفيضون إفاضة واحدة، (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) (١٣)، وكلهم يقفون أياماً في «منى» تجمع بينهم أشغال واحدة من نحر وحلق ورمي.(١٤)

والحج ومناسكه وما يحيط به من ذكريات، وحوادث، وما يتلبّس به الحاج من التجرّد عن المظاهر، وما يأتي به من عمل ونسك ـ من إحرام، ووقوف، وإفاضة، ورجم، وسعي، وطواف ـ تخليد لما اختص به إبراهيم عليه السلام من التوحيد ونفي الأسباب، والتوكّل على الله والتفاني في سبيله، وإيثار لطاعته ومرضاته، وتمرد على العادات والأعراف، والمعايير الزائفة والمثل المصطنعة، وتجديد لذلك الإيمان القوي، والحب العميق، والتضحية الفائقة، والإيثار الرفيع، والحج ضامن لبقاء هذه المعاني السامية، وهذه القيم الربانيّة كلها، وبقاء الجامعة الإسلاميّة الإنسانيّة التي هي فوق القوميّات والعنصريّات والوطنيات المحدودة المصطنعة، ودعوة الناس إلى أن يسيروا على نهج إبراهيم، ويتشبّعوا بروحه، ويقوموا بدعوته في كلّ عصر وفي كلّ زمان،(١٥) «ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير» (١٦)

والحج تدريب عمليّ للمسلم على المبادي الإنسانيّة العليا الّتي جاء بها الإسلام، فقد أراد الإسلام ألا تكون مبادئه وقيمه الإجتماعيّة مجرد شعارات أو نداءات، بل ربطها بعباداته، وشعائره ربطاً وثيقاً، حتّى تخطّ مجراها في حياته سلوكاً وتطبيقاً.

وقد رأينا في صلاة الجماعة كيف تنمي معاني الأخوة والمساوات والحرّية. وهنا في الحج نرى معنى المساواة في أجلى صورة وأتمّها. فالجميع قد اطرحوا الملابس والأزياء المزخرفة التي تختلف باختلاف الأقطار، واختلاف الطبقات، واختلاف القدرات، واختلاف الأذواق، ولبسوا جميعاً ذلك اللباس البسيط ـ الذي هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى ـ يلبسه الملك والأمير، كما يلبسه المسكين والفقير، وإنّهم ليطوفون بالبيت جميعاً فلا تفرق بين من يملك القناطير المقنطرة، ومن لا يملك قوت يومه، ويقفون في عرفات ألوفاً ألوفاً، فلا تحسّ بفقر فقير، ولا غِنى غَنيٍّ، ولا تحس حين تراهم ثيابهم البيض وفي موقفهم المزدحم العظيم إلا أنّهم أشبه بالناس في ساحة العرض الأكبر، يوم يخرجون من الأجداث إلى ربّهم ينسلون.

وفي الحج نرى معنى الوحدة جليّاً كالشمس؛ وحدة في المشاعر، ووحدة في الشعائر، ووحدة في الهدف، ووحدة في العمل، ووحدة في القول. لا إقليميّة ولا عنصريّة، ولا عصبيّة للون أو جنس أو طبقة، إنّما هم جميعاً مسلمون، بربّ واحد يؤمنون، وببيت واحد يطوفون، ولكتاب واحد يقرأون، ولرسول واحد يتبعون، ولأعمال واحدة يؤدّون، فأي وحدة أعمق من هذه وأبعد غوراً؟(١٧)

ويقول الشيخ محمّد قطب رحمه الله: «والحج موسم في العمر يتجرّد فيه الإنسان من متاع الأرض الزائل كلّه».(١٨)

التزام تقوى الله بعد الحج

يريد الله سبحانه وتعالى أن نعرف أنّه ما دمنا قد أتممنا الحج ـ والحج ما دام من حلال وقصد به وجه الله فهو مقبول ومبرور ـ فإنّ الشيطان لن يتركنا بمجرّد غفران الذنب، إنّه يحاول أن يدفعنا في ذنوب ومعاص جديدة. وبمجرّد عودتنا من الحجّ هو سيعمل

على أن يفسد علينا الطاعة ويضع في نفوسنا المعصية، والله يريد أن نلتفت إلى أنّنا في الحج انتصرنا على الشيطان، بأن امتنعنا عن كلّ ما نهى الله عنه، ليس امتناعاً يشمل ما حرّم الله في الأوقات العادية، ولكن التحريم امتدّ إلى بعض ما كان مباحاً، فكأنّ التحريم زاد ورغم ذلك قدرنا عليه، قضينا مناسك الحج في ذكر الله والانشغال بالعبادة والدعاء.

بمعنى أنّنا لسنا قادرين على طاعة المنهج، بل إنّنا قادرون على طاعات أكبر وأكثر، فإذا تذكرنا هذه الحكمة التزمنا تقوى الله بعد أداء مناسك الحجّ، وعرفنا أنّنا قادرون على الطاعة فالتزمناها. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: «فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً، فمن الناس من يقول ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وما له في الآخرة من خلاق» (١٩) إنّ الله سبحانه وتعالى يريدنا لكي لا نضلّ ولا ننحرف، أن نذكره دائماً بعد أداء فريضة الحج كما نذكر آباءنا على التباعد.(٢٠)

وإنّ التقوى لا تكون مع غلبة الشهوات، إنّما تكون مع الانضباط الّذي يلزم النفس بالحدود الّتي حدّدها الله وقال عنها: «تلك حدود الله فلا تقربوها» (٢١) أو «تلك حدود الله فلا تعتدوها» (٢٢)

والانضباط يحتاج إلى تدريب لكي يصبح عادة، حتّى تستسلم شهوات النفس والجسد لإرادة الإنسان، ويصبح قيادها في يديه، يطلقها ـ بقدر ـ حين يشاء، ويحبسها ـ بقدر ـ حين يشاء. (٢٣) وبعض الناس يحاولون أن يجعل من مناسك الحجّ مراسم ثقيلة المونة، صعبة الأداء، وهذا خطأ، فالحجّ رحلة روحيّة ممتعة، وسياحة عاطفيّة كريمة، وقد شرعه الله ليكون شحنة قلبيّة إلى جانب الأساس العقلي للإسلام، شحنة تحيطه بإطار من الذكريات والعواطف.(٢٤)

آداب السفر للحاج والمعتمر

يستحبّ لمن أراد السفر للحجّ والعمرة مراعاة الآداب التالية، الّتي أخذ أكثرها من هدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسنّته الفعليّة أو القوليّة، وذلك ليكون الحاج أو المعتمر متّبعاً ومتأسّياً برسول الله صلّى الله عليه وسلّم منذ الخطوات الأولى الّتي يتهيّأ فيها للشروع بهذه المرحلة المباركة إلى الله تعالى:

١ـ إذا عزم على الحجّ بدأ بالتوبة من جميع المعاصي والمكروهات، ويخرج من مظالم الخلق ويقضي ديونه، ويردّ الودائع، ويكتب وصيّته ويشهد عليها ويترك لأهله ومن تلزمه نفقته إلى حين رجوعه.

٢ـ أن يحرص على أن تكون نفقته حلالاً خالصةً من الشبهة والدنس، وقد أحسن من قال:

إذا حججت بمال أصله دنس/ فما حججت ولكن حجّت العير(٢٥)

٣ـ أن يستكثر من الزاد والنفقة ليواسي منه المحتاجين.

٤ـ أن لا يشارك غيره في الزاد والنفقة، لأنّه يمتنع بسبب المشاركة من التصرّف في وجوه الخير والبرّ والصدقة.

٥ـ الركوب في الحج أفضل من المشي، وقد ثبت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حجّ راكباً.

٦ـ أن يتعلم كيفيّة الحجّ، وهذا فرض عين، إذ لا تصح عبادة ممن لا يعرفها.

٧ـ أن يطلب له رفيقاً موافقاً، راغباً في الخير كارهاً للشرّ، إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه، وإن تيسر له الحج مع عالم عامل فليحرص على ذلك؛ فإنّ العالم يعينه على مبارّ الحجّ ومكارم الأخلاق.

٨ـ أن تكون يده فارغة من مال التجارة ذاهباً وراجعاً، لأنّ ذلك يشغل القلب.

٩ـ أن يقول عند الخروج من بيته، ما صحّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان يقوله إذا خرج من بيته: «بسم الله توكّلت على الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله، اللهم إنّي أعوذ بك أن أضلّ أو أُضلّ، أو أزلّ أو أُزلّ، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو أُجهل علي» (٢٦)

١٠ـ أن يجتنب الشبع المفرط والترفّه والتبسّط في ألوان الأطعمة، فإنّ الحاج أشعث أغبر.

١١ـ أن لا يسافر وحيداً، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كره الوحدة في السفر وقال: «الراكب شيطان، الراكبان شيطانان، والثلاثة ركب» (٢٧)

١٢ـ أن يكثر من الدعاء في جميع سفره لنفسه ولوالديه وأحبّاءه.

١٣ـ أن يداوم على الطهارة، وأن يحافظ على الصلاة في أوّل وقتها. (٢٨)

١ـ سورة الحج:٢٧

٢ـ لسان العرب٣/٥٩

٣ـ آل عمران:٩٧

٤ـ البقرة:١٢٦

٥ـ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب دعاءكم إيمانكم؛ رقم الحديث:٨

٦ـ مسند الإمام أحمد، ر قم الحديث٢١٧٥٧

٧ـ رواه الدارمي٢/٢٧، رقم ١٧٨٥

٨ـ بدائع الصنائع ج٣، ص٣٩،٤١

٩ـ الأركان الأربعة ٢٤٦

١٠ـ إحياء علوم الدين١/٣٥٩

١١ـ حجّة الله البالغة١/٢٢٣

١٢ـ إحياء علوم الدين ١/٣٦٣

١٣ـ البقرة:١٩٩

١٤ـ الأركان الأربعة٢٧٢

١٥ـ مقالات إسلاميّة في الفكر والدعوة٢/٤٧٢

١٦ـ الحج:٧٨

١٧ـ العبادة في الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي٢٨٩ـ٢٩١

١٨ـ مفاهيم ينبغي أن تصحّح للسيد محمد قطب ٢٠٧

١٩ـ البقرة:٢٠٠

٢٠ـ فقه العبادات لفضيلة الشيخ محمد متولّي الشعراوي٣٠١

٢١ـ البقرة:١٨٧

٢٢ـ البقرة:٢٢٩

٢٣ـ عبادات الإسلاميّة فقهها وأسرارها٣٨١ـ ٣٨٦

٢٤ـ هذا ديننا للشيخ محمد الغزالي١٢٧

٢٥ـ فقه العبادات٢٢٩

٢٦ـ مسند الإمام أحمد ٤/٤٣٤

٢٧ـ مختصر سنن الترمذي رقم الحديث:١٦٧٤؛ باب ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده.

٢٨ـ عبادات الإسلاميّة فقهها وأسرارها ٣٨١ـ ٣٨٦

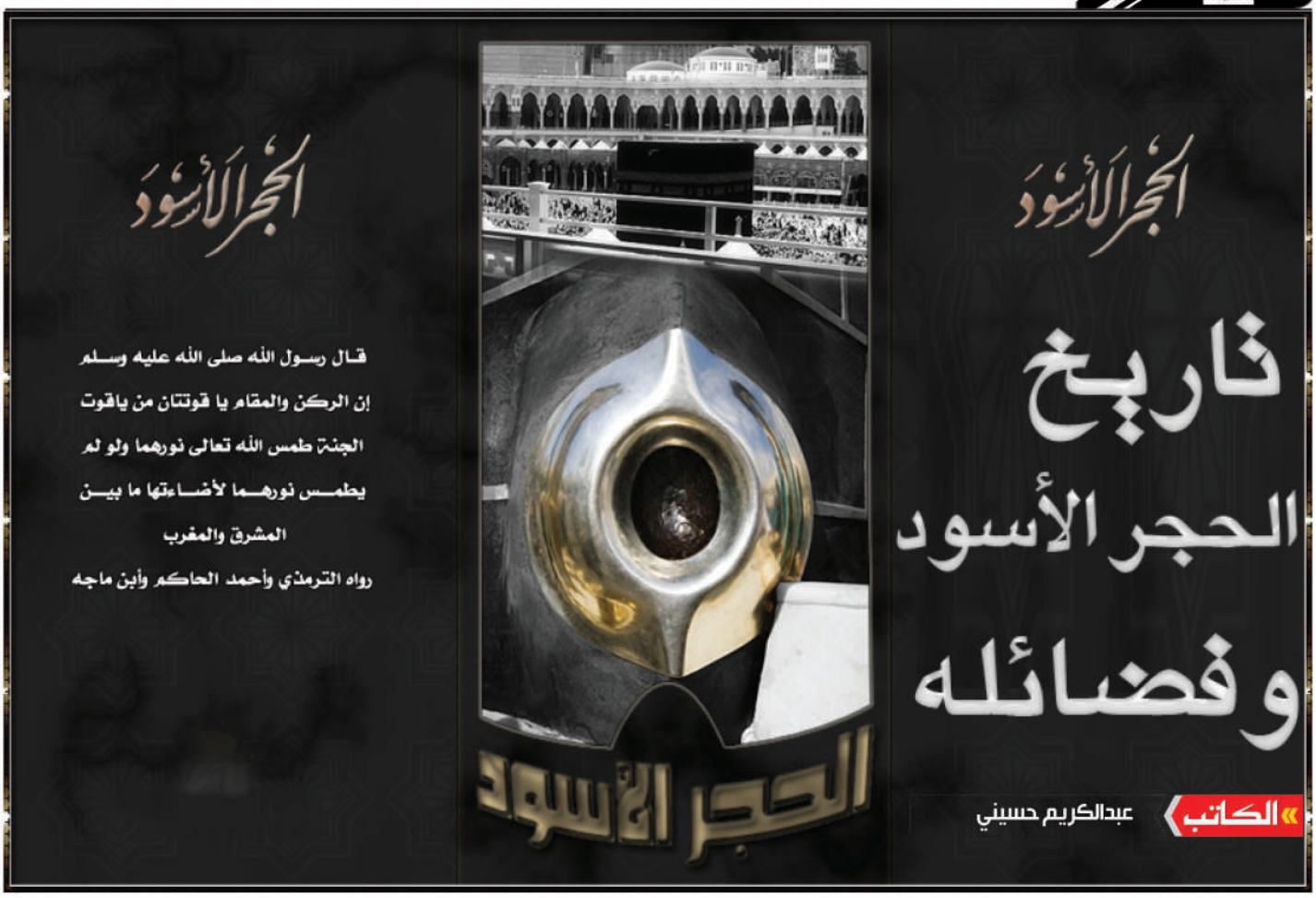

الحجر الأسود حجر نزل من الجنّة وهو مودع بأمر الله لنبيّه إبراهيم الخليل في ركن الكعبة المشرّفة الّذي يبتدأ منه الطواف وهو الركن الجنوبي الشرقي من الكعبة المشرّفة.

روى الأزرقي رحمه الله (١) عن ابن إسحاق في بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة المشرّفة، قال: «فلمّا ارتفع البنيان قرّب له إسماعيل المقامَ، فكان يقوم عليه ويبني ويحوله إبراهيم في نواحي البيت، حتّى انتهى إلى موضع الركن الأسود، قال إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام: أبلغني حجراً أضعه ههنا يكون للناس علماً يبتدؤون منه الطواف، فذهب إسماعيل يطلب له حجراً، ورجع وقد جاءه جبرئيل عليه السلام بالحجر الأسود، وكان الله عزّ وجلّ استودع الركن جبل أبي قبيس حين غرّق الله الأرض زمن نوح عليه السلام، وقال: إذا رأيت خليلي يبني بيتي فأخرجه له.

قال: فجاءه إسماعيل فقال له: يا أبت من أين لك هذا؟ قال: جاءني به من لم يكلني إلى حجرك، جاء به جبريل عليه السلام. فلمّا وضع جبريل الحجر في مكانه، وبنى عليه إبراهيم، وهو حينئذ يتلألأ تلألؤاً شديداً من شدّة بياضه، فأضاء نوره شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً.

أمّا لونه فكان أبيض من الثلج ومن اللبن، لكن سوّدته خطايا المشركين وهو بقدر ذراع كما ورد في الأثر عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: «كان الحجر الأسود أبيض من اللبن وكان طوله كعظم الذراع»(٢).

حكمة الاسوداد وعدم زوال سواده بالحسنات:

قال المحب الطبري : قد اعترض بعض الملحدة فقال: كيف يسود الحجر خطايا أهل الشرك ولا يبيضه توحيد أهل الإيمان؟

والجواب عنه من ثلاثة أوجه:

الأول : ما تضمنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن الله عز وجل إنما طمس نوره ليستر زينته عن الظلمة»، وكأنه لما تغيرت صفته التي كانت كالزينة له بالسواد.

الثاني: أن الله تعالى أجرى العادة بأن السواد يصبغ ولا ينصبغ والبياض ينصبغ ولا يصبغ.

والثالث: أن يقال بقاؤه أسود إنما كان للاعتبار، ليعلم أن الخطايا إذا أثرت في الحجر، فتأثيرها في القلوب أعظم» (٣).

فضائله:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس، له لسان و شفتان يتكلم عمن استلمه بالنية، وهو يمين الله يصافح بها خلقه»(٤).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «الرُّكْنُ وَالْمَقَامُ يَاقُوتَتَانِ مِنْ يَاقُوتِ الْجَنَّةِ، وَإِلَيْهَا يَصِيرَانِ، وَلَوْلَا مَا مَسَّ هَذَا الرُّكْنَ مِنَ الْأَنْجَاسِ، لَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ»(٥).

وعن وَهْب بْن مُنَبِّهٍ أَنَّ عبدالله بنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَهِيَ تَطُوفُ مَعَهُ بِالْكَعْبَةِ حِينَ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ: «لَوْلَا مَا طُبِعَ على هَذَا الحجر يا عائشة مِنْ أَرْجَاسِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنْجَاسِهَا إِذًا لَاسْتُشْفِيَ بِهِ مِنْ كُلِّ عَاهَةٍ، وَإِذًا لَأُلْفِيَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ أَنْزَلَهُ اللهُ عزّوجلّ، وَلَيُعِيدَنَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلى مَا خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَإِنَّهُ لَيَاقُوتَةٌ بَيْضَاءُ مِنْ يَواقيتِ الْجَنَّةِ، وَلَكِنَّ اللهَ سبحانه وتعالى غيّره بِمَعْصِيَةِ الْعَاصِينَ، وستر زينته عَنِ الظَّلَمَةِ والأَئِمَّة لأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى شيء كان بدؤه من الجنّة»(٦).

من مواطن إجابة الدعاء عند الحجر الأسود:

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من استلم هذا الركن ثم دعا استجيب له، قيل لابن عباس: وإن أسرع؟ قال: وإن كان أسرع من البرق الخاطف»(٧)

زيادة شرف الحجر الأسود بتقبيل النبي صلّى الله عليه وسلّم:

إنّ للحجر الأسود من الشرف العظيم والمجد القديم ما خصّه الله تعالى به دون سائر الأحجار، وممّا زاده شرفاً وفخراً هو تقبيل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم له وذلك حين طاف بالبيت العتيق مستلماً له، وإنّ في تقبيل المسلمين واستلامهم للحجر الأسود نقطة دقيقة وهي أن تقع أفواههم موضع فم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفم الأنبياء الّذين قبله عليهم الصلاة والسلام، وأن تلمس أيديهم ما لمسته أيديهم الشريفة من هذا الحجر المكرّم»(٨)

قال الإمام الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء(٩): «وقبّل حجراً مكرماً نزل من الجنة، وضع فمك لاثماً مكاناً قبّله سيد البشر بيقين، فهنأك الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مفخر، ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحجر ثم قبل محجنه، لحقَّ لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل... وقد كان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبلها، ويقول: يد مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنقول نحن إذ فاتنا ذلك: حجر معظم بمنزلة يمين الله في الأرض مسته شفتا نبينا صلى الله عليه وسلم لاثما له.فإذا فاتك الحج، وتلقيت الوفد، فالتزم الحاج وقبّل فمه وقل: فم مس بالتقبيل حجراً قبّله خليلي صلى الله عليه وسلم.»

مقام إبراهيم عليه السلام:

قال الله تعالى: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى»، سمِّي هذا الحجر الكريم بمقام إبراهيم، لقيام إبراهيم الخليل عليه حين ارتفع بناؤه للبيت، فكان يرتفع عليه ويبني، وإسماعيل يناوله الحجارة.

روى البخاري رحمه الله في صحيحه(١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصّة إبراهيم عليه السلام وبناءه للبيت قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «فعند ذلك رفعا ـ إبراهيم وإسماعيل ـ القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجر، وهما يقولان: ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: جاء بهذا الحجر، يعني المقام. وفي هذا الحجر المكرّم أثر قدمي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيث جعل الله تعالى تحت قدميه من ذلك الحجر رطوبة الطين حتّى غاصت فيه قدماه، ليكون ذلك آية بيّنة ظاهرة.

تطاول المقام عند قيامه ـ عليه السلام ـ عليه لبناء البيت:

اشتهر عند مؤرّخي مكة المتأخرين أنّ المقام تطاول وعلا في السماء حين ارتفع إبراهيم الخليل ببناء الكعبة المشرّفة، فكان الحجر (مقام إبراهيم) يرتفع بارتفاع الجدار عند البناء، ويقصر به إلى أن يتناول الحجارة من إسماعيل عليه السلام، ثم يطول المقام ويعلو به إلى أن يضعها في علوّها، وهكذا حتّى انتهى من بناء البيت. وذكر هذا الخبر عن علوّ المقام عند البناء الإمامُ المفسّر المحدّث المقرئ النحويّ أبو حيّان محمد بن يوسف المتوفّى سنة ٧٤٥ هـ ، وذلك في تفسيره(البحر المحيط).

شبه قدمي سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم بقدمي إبراهيم الخليل:

وذكر ابن ظفر المكّي الصقلي في أنباء نجباء الأبناء من حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال:

«لمّا خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو غلام يلعب، فرآه قوم من بني مدلج، فدعوه فنظروا إلى قدميه، وفقده عبد المطلب، فخرج في طلبه حتّى أتى إليه ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أيديهم يتأمّلونه فقالوا: ما هذا الغلام منك؟ فقال: ابني، فقالوا: احتفظ عليه، فما رأينا قدماً أشبه بالقدم الّذي في المقام من قدمه.

لقد جعل الله لهذا الحجر الكريم (مقام إبراهيم) فضائل عديدة، وخصّه بآيات كثيرة تدلّ على عظيم شرفه وكبير شأنه.

روى البخاري ومسلم(١١) في سبب نزول قوله تعالى: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى» قول سيّدنا عمر رضي الله عنه: «وافقت ربّي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلّى، فنزلت: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى»، وقد جاء في رواية أبي نعيم في الدلائل من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ النبي صلّى الله عليه وسلّم بيد عمر، فمرّ به على المقام فقال له:هذا مقام إبراهيم، فقال عمر: يا نبي الله ألا نتخذه مصلّى؟ فنزلت: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى». (١٢)

فضائله:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:« إِنَّ الرُّكْنَ وَالْمَقَامَ يَاقُوتَتَانِ مِنْ يَاقُوتِ الْجَنَّةِ، نَزَلَا مِنَ السَّمَاءِ لَهُمَا نُورٌ، فَلَمَّا وُضِعَا فِي الْأَرْضِ طُفِئَ نُورُهُمَا، وَلَوْلَا مَا أَطْفَأَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نُورِهِمَا؛ لَأَضَاءَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، آنَسَ اللهُ تَعَالَى بِهِمَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَا يَتَلَأْلَآنِ تَلَأْلُؤًا مِنْ شِدَّةِ بَيَاضِهِمَا، وَأَخَذَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرُّكْنَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ اسْتِئْنَاسًا بِهِ، وَلَوْلَا مَا طَبَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَيْدِي الْجَاهِلِيَّةِ لَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا الرُّكْنَ وَالْمَقَامَ، فَإِنَّهُمَا جَوْهَرَتَانِ مِنْ جَوْهَرِ الْجَنَّةِ، يَأْتِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مِنْ أَبِي قُبَيْسٍ، لَهُمَا عَيْنَانِ وَشَفَتَانِ يَشْهَدَانِ لِمَنْ وَافَاهُمَا بِالْوَفَاءِ .»(١٣)

١ـ أخبار مكّة٦٥/١؛ ونحوه في المستدرك للحاكم*٢ـ الأزرقي ٣٢٨/١*٣ـ القرى ٢٩٥*٤ـ صحيح ابن خزيمة٢٢١/٤؛ المستدرك٤٥٧/١*٥ـ الفاكهاني ٤٤٤/١*٦ـ الأزرقي٣٢٢/١؛ الفاكهي٩٤/١*٧ـ مصنّف عبدالرزاق٣٠/٥*٨ ـ حجّة الله البالغة للشاه ولي الله الدهلوي٦٥/٢*٩ـ ٤٢/٤*١٠ـ كتاب الأنبياء، باب يزفون ٣٩٨/٦*١١ـ صحيح البخاري، الصلاة، باب ما جاء في القبلة٥٠٤/١؛ صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل سيّدنا عمر رضي الله عنه١٨٦٥/٤*١٢ـ ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ١٦٩/٨ في زيادات الباب فهو صحيح أو حسن على قاعدته.*١٣ـ الفاكهي ٤٤٤/١، عزاه السيوطي في البدر المنثور ١١٩/١ للأزرقي والجندي في أخبار مكّة.

الإمام مسلم بن حجّاج النيسابوري
من نوابغ خراسان وأئمّة الحديث

الكاتب محمد نوري

مقدمة:

الحمدلله الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويزكّيهم و يعلّمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد؛الذي بعثه الله تعالى خاتماً للنبيين وعلى آله وصحبه والتابعين والعلماء العاملين الذين رفعوا منارة الهدى والدين وحملوا راية السنة النبوية بصدق ويقين،ونفوا عنها تحريف الغالين وتأويل الجاهلين.

أما بعد؛ إن لكل أمة أعلامها الذين بهم تزهو وتفتخر، وعظماؤها الذين بذكراهم تخطر وتختال، لأنهم خلّدوا أمتهم برائع فعالهم وحميد سيرهم.

نعم، كما نعلم أن علم الحديث قد نضج في القرن الثالث الهجري؛ إذ يعتبر العصر الذهبي لتدوين الحديث وجَمْعه وقام بذلك علماء جهابذة، مما جعل أسس الحديث تترسَّخ،إذ تمّ تشييد صَرحه على المسانيد أو الأبواب وظهرت الكتب الستة وتلّقت الأمة بالقبول والصحة كلاً من صحيحي البخاري ومسلم وقد خدما كثيراً شرحاً وتهذيباً واختصاراً واستخراجاً عليهما، وقد ظهرالإمام مسلم في العصرالذهبي للفكرالإسلامية حيث ازدهرت الثقافة العربية الإسلامية وترعرعت العلوم وتوجهت المعرفة ولمعت شخصيات كبار جهابذة العلم في مختلف الأصقاع العربية والإسلامية، إنه عصر أئمة الحديث النبوي والأدب العربي والتاريخ المجيد.

سيرة الإمام مسلم بن الحجاج الشخصيةً:

اسمه:

هو أبوالحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القُشَيرى النيسابوري.١

مولده:

قال صاحب وفيات الأعيان:لم أر أحداً من الحفاظ يضبط مولده ولا تقدير عمره وأجمعوا أنه ولد بعد المأتين.٢

قال بعض الناس: ولد سنة أربع و مائتين٣. وقال بعضهم أنه ولد سنة ستّ ومئتين.٤

موطنه:

استوطن ـ رحمه الله ـ أعلى الزّمجار بنيسابور وكان مسكنه بها.٥ وهي مدينة في شرق إيران بخراسان.

أسرته:

كان الإمام مسلم ـ رحمه الله تعالى و نورالله مرقده ـ من أسرة ذات علم و معرفة، يقول محمد بن عبدالوهاب الفراء -تلميذ الإمام مسلم رحمه الله تعالي-: كان أبوه الحجاج بن مسلم من المشيخة. وكان مسلم بزازاً ولعل هذا أحد أسباب توجه الإمام مسلم رحمه الله إلى طلب الحديث والعلم الشرعي.٦

قد تزوج الإمام مسلم رحمه الله و ليس له أولاد ذكور، قال الحاكم :رأيت من أعقابه من جهة البنات في داره.٧

صفاته الخَلقية والخُلفية:

قال الحاكم: كان تام القامة، أبيض الرأس واللحية، يرخي طرف عمامته بين كتفيه.٨وقال الحاكم أيضاً: سمعت أبا عبدالرحمن السلمي يقول: رأيت شيخاً، حسن الوجه والثياب عليه رداء حسن، فقيل: هذا مسلم.٩ كان صاحب تجارة بخان بحمس بنيسابور وله أملاك وثروة.١٠

كان رحمه الله تعالى، عالي الهمة، كثير النشاط، ذا صبر في الطلب والتحصيل، وليس أدّل على ذلك من كثرة رحلاته وتطوافه في البلدان الإسلامية، وكان كثير الإحسان إلى الناس حتى نعت بـ«محسن النيسابور» وساعده على ذلك أملاكه وضياعه وتجارته وكان إماما ثقة، جليل القدر، من كبار العلماء، يتسع بالورع والعبادة والعلم الواسع والاحتياط لدينه، لذلك عظم في أعين الناس وعلت منزلته وسمت مكانته. و بالجملة فإن مناقبه مشهورة وسيرته مشكورة.١١ وصفه عبدالعزيز الدهلوي في «فتح الملهم» بقوله: إنه ما اغتاب أحداً في حياته ولا ضرب ولا شتم.١٢

شيوخه:

يعد الإمام مسلم رحمه الله من المكثرين للشيوخ،عدّ الذهبي منهم مائتين وعشرين رجلاً. وأبرز شيوخه وأكثرهم تأثيراً به هو الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، حتى قال الدارقطني: «لولا البخارى ما راح مسلم ولا جاء»١٣

أذكرعدة من مشايخه: إبراهيم بن خالد البشكري، أحمد بن يوسف السلمي، الحسن بن الربيع البوراني، عبيدالله بن عمر القواريري، محمد بن إسحاق الصاغاني، يحيى بن أيوب المقابري، نصر بن علي الجهضمي، منجاب بن الحارث التميمي،هارون بن معروف. ذكر كل مشايخه الإمام المزي في تهذيب الكمال.١٤

تلامذته:

الترمذي حديثاً واحداً، إبراهيم بن إسحاق الصيرفي، أبوحامد أحمد بن حمدون بن رستم الأعمشي وأبوالفضل أحمد بن سلمة الحافظ، أبوعمر أحمد بن المبارك المستملي، أبوسعيد حاتم بن أحمد بن محمود الكندي البخاري، الحسين بن محمد بن زياد القباني، أبوعوانة الإسفرائيني، محمد بن عبد بن حميدوتلامذته الأخرى، ليس المجال أن أذكر كلها.١٥

رحلاته:

قد اجتهد وجدّ ـ رحمه الله ـ في طلب العلم ورحل في سبيل ذلك رحلات عديدة إلي كثير من الأقطار والأمصار، رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر،١٦ورحل إلى خراسان.١٧ رحل إلى بغداد، بصرة، الكوفة، الري ودمشق.١٨

ثناء العلماء عليه:

شهد له أئمة المحدثين وسادة النقاد المعدّلين بالجلالة والتقدم والتفوق ومن أكبر الدلائل على جلالته وتفننه، كتابه الصحيح.١٩ قد ظهر لكثير من أئمة النقل وجهابذة النقد: أن لمسلم ولكتابه من المزيّة ما يوجب لهما أولويّة. فقد حكى القاضي أبوالفضل عياض الإجماع على إمامته وتقديمه وصحة حديثه وتمييّزه، وثقتة وقبول كتابه.٢٠

قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه بالرّي، وكان ثقة من الحفاظ، له معرفة بالحديث، سئل أبي عنه، فقال: صدوق.٢١

أجمع العلماء على جلالته وإمامته وعلو مرتبتة وحذقه في هذه الصنعة وتقدمه فيها وتضلعه منها ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وورعه وحذقه وقعوده في علوم الحديث واضطلاعه منها وتفننه فيها، كتاب الصحيح.٢٢

قال إسحاق الكوسج لمسلم: لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين.٢٣

وقال أحمد بن سلمة: رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرها.٢٤

قال الإمام السخاوي:«ولو لم يكن لمسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى غير هذا الكتاب الصحيح لكفاه فضلاً ونبلاً عند أولي الألباب، فلقد أبقى له هذا الكتاب ذكراً جميلاً وثناءً حسناً جزيلاً.٢٥

كتابه الصحيح:

اسم الكتاب: قد تختلف المراجع في تسميته، إما اختصاراً وإما رواية بالمعنى وقد يكون هو المسموع من شيوخهم وإليك هذه الأسماء، الأول :«المسند الصحيح» هوالاسم الذي سماه به مؤلفه، الثاني: «المسند الصحيح المختصر من السنن» ذكره القاضي عياض، الثالث:«المسند»، الرابع:«الصحيح» ذكره ابن النديم وغيره، الخامس: «الجامع الصحيح» ذكره السمعاني، السادس: «صحيح مسلم» ذكره الزركلي في الأعلام، السابع: «المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.٢٦

سبب تأليفه:

قد ألّف الإمام مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ المسند الصحيح بأسباب ملخَّصها:

الأول:استجابة لطلب أحد تلامذته (أحمد بن سلمة)، الثاني: تساهل المصنفين في إيراد الضعيف، الثالث:عدم إفراد الصحيح، الرابع:استنكار عوامّ الناس الصحيح من الحديث.٢٧

منهج الإمام في صحيحه:

الأول: أنه لم يقصد الاستيعاب واستيفاء كل صحيح عنده، الثاني: يخرِّج عن ثلاث طبقات من الرواة، وكان له منهج دقيق في ترتيب كتابه، يركز فيه على ترتيب الأحاديث في جميع أبوابها التي تضم أكثر من حديث وذلك وفق مقتضى الخصائص الإسنادية والفوائد الحديثية التي تتوافر في كل حديث من تلك الأحاديث، فيصدرالأبواب بأصح ما عنده من أحاديثها، الثالث:جمع طرق

الحديث، إن كان له أكثر في طريق في موضع واحد،وهذا منهجه في معظم كتابه عدا الثمن الأخير منه فإنه لم يحصل له ذلك، الرابع: يسوق متن الحديث بتمامه وكماله، من غير إختصار ولا تقطيع، وما وقع في الأصول مختصراً فإنه ينص عليه، وما أورده مختصراً من غير نص على أنه مختصر فإنما يورده في المتابعات لا في الأصول.٢٨ قد ذكر عواد حسين الخلف في كتابه القيم «روايات المدلسين في صحيح مسلم» ثلاثين منهجاً من مناهج الإمام مسلم في صحيحه، قد ذكرت هناك عدة منها ولا أذكر كلها مخافة السآمة.

عدد أحاديث صحيح مسلم:

قال أحمد بن سلمة: كنت مع مسلم في تأليف صحيح خمس عشرة سنة قال: وهو اثنا عشر ألف حديث يعني بالمكرر، بحيث أنه إذا قال حدثنا قتيبة وابن رميح يعدهما حديثين سواء اتفق لفظهما أو اختلف.٢٩ جملة ما في صحيح مسلم من الأحاديث: قال الجزائري: «أما في صحيح مسلم فجملة ما فيه بإسقاط المكرر نحو أربعة آلاف حديث، قال في شرح مسلم: قال الشيخ أبوعمر - يعنى ابن الصلاح - روينا عن أبي قريش الحافظ، قال: كنت عند أبي زرعة الرازي، فجاء مسلم بن الحجاج، فسلم عليه، وجلس ساعة وتذاكرا، فلما قام قلت له: هذا جمع أربعة آلاف حديث في الصحيح، قال أبوزرعة: فلمن ترك الباقي؟ قال الشيخ: أراد أن كتابه هذا أربعة آلاف حديث أصول دون المكررات.قال العراقي: وهو يزيد على البخاري بالمكرر؛كثرة طرقه.٣٠

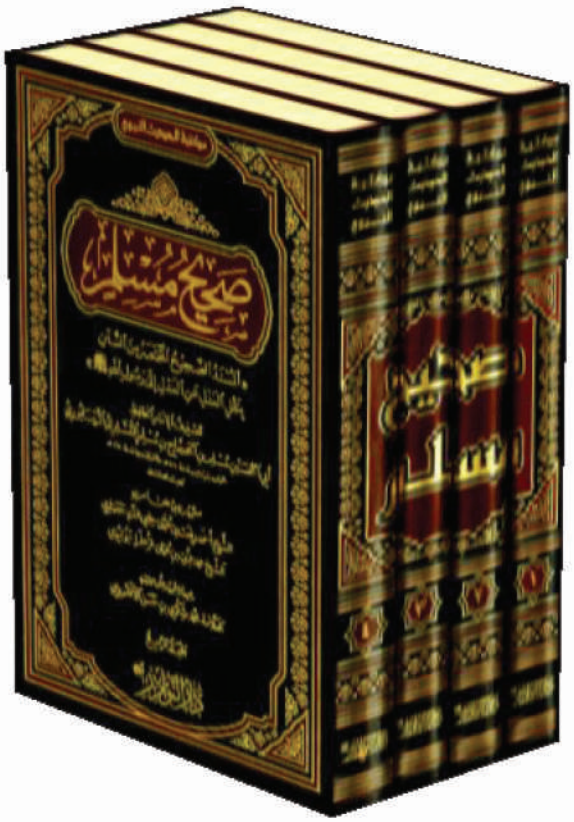

ثناء أهل العلم على صحيحه:

قال ابن الشرقي : سمعت مسلماً يقول: ما وضعت شيئاً في كتابي هذا إلا بحجة وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة. وهو أحد الصحيحين المعول عليهما في حديث الرسول صلى الله عليه و سلم .٣١

قال ابن مندة سمعت أبا علي النيسابوري يقول: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم. وقال الماسَرجَسِيّ: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة.٣٢

قال صاحب تهذيب التهذيب: حصل لمسلم فى كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحمد مثله بحيث أن بعض الناس كان يفضله على صحيح محمدبن إسماعيل ،و ذلك لما اختص به من جميع الطرق وجودة السياق ،والمحافظة على إداء الإلفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بمعني.٣٣

قال إبراهيم بن سفيان: قال لى مسلم: ليس كل صحيح وضعت هنا.٣٤

و كان مسلم شديد الاعتزاز بكتابه لما بذل من الجهد فيه فقد صنفة من ثلاث مئه الف حديث ،وكان من أجل ذلك يقول :« لو أن أهل الحديث يكتبون مئتى سنة الحديث فمدارهم على هذا المسند،يعني صحيحه».و قال أحمد بن سلمة :« كتبت مع مسلم فى تأليف صحيحة خمس عشرة سنةو هو اثنا عشر ألف حديث».٣٥

مزاياه :الأول : خلوصه للحديث دون غيره فليست فيه استنا جات فقهية أو أصولية أو تفريعات علمية.الثاني: صنف مسلم كتابه فى بلده بحضور أصوله فى حياة كثير من مشايخه فكان يتحّرى فى الألفاظ و السياق. الثالث: سلك مسلم طريق التيقظ و التحوط و قسم الأخبار المسندة من رسول الله صلي الله عليه و سلم إلى ثلاثة أقسام و ثلاث طبقات من الناس :القسم الأول : ما نقله الثقات المتقنون الذين بلغوا أقصى درجات القوة فى الرواية كا بن عوف و أيوب السختيانى.القسم الثانى : ما يقع فى إسناده من ليس موصوفا بالحفظ و الإتقان لكنه صادق متعاطٍ للعلم مستور.أى فى الدرجة الوسطى عن رجال الحديث كعوف بن أبى جميلة و أشعث الحمرانى مع الحسن و ابن سيرين.القسم الثالث: ما رواه متهمون بالكذب أو الغفلة أو سوء الحفظ و هذا القسم تركه.٣٦

المسلم لم يستوعب الصحيح: قد ظن أناس قد التزم أنه قد التزم أن يخرج كل ماصح من الحديث فى كتابه،فاعترضوا عليه بأنه لم يقم بما التزم به وليس الأمر كذلك فقد روى عن مسلم أنه لما عوتب على ما فعل من جمع الأحاديث الصحاح فى كتاب ،وقيل له:إن هذا يطرق لأهل البدع علينا ،فيجدون السبيل بأن يقولوا إذا احتج عليهم بحديث:ليس هذا فى الصحيح؟ قال:إنما أخرجت هذا الكتاب ،و قلت: هو الصحاح ولم أقل مالم أخرجه من الحديث فى هذا الكتاب فهو ضعيف ،وإنما أخرجت من الصحيح ،ليكون عندى و عند من يكتبه عنى ،ولايرتاب فى صحته وقد رفع بذلك العتب و لسان حاله يقول:ألام على ما

يوجب الحب و بما ذكرنا من عدم التزامه استيّعاب الأحاديث أجمع: يظهر لك أن لاوجه لإلزام من ألزمه إخراج أحاديث لم يخرجاه مع كونها صحيحةعلى شرطه.٣٧

شروح صحيح مسلم : شرح صحيح مسلم كثير من العلماء، ذكر منها صاحب كشف الظنون نحو خمسة عشر شرحاً.و من أشهرها: ١.المنهاج، للنووي الشافعي ٢.شرح أبي الفرج عيسى ابن مسعود الزواوي ٣.إكمال المعلم الأبي عبدالله محمدبن خليفة الأبي المالكى ٤.الإبتهاج للقسطلانى الشافعى.٣٨

مؤلفاته الأخرى : ترك الإمام مسلم سوى كتاب الجامع الصحيح جملة صالحة من المؤلفات فى فن الحديث و علومه أفاد و أجاد منها : الجامع الكبير، المسند الكبير، الأسماء والكنى، الطبقات ،الإنتفاع بأهب السباع ،أولاد الصحابةوغير ذلك من تأليفاته الأخري .٣٩

وفاته رحمه الله: بعد حياة زاخرة بالعلم والرحلة في طلبه وتعليمه توفي الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - عشية يوم الأحد لخمس بقين من شهر رجب سنة إحدى وستين ومأتين هجرية،٤٠ وعمره خمس وخمسون سنة على الصحيح من أقوال أهل العلم «في حد الكهولة٤١ ودفن بنصر آباذ ظاهر نيسابور٤٢ يوم الإثنين ومقبرته في رأس ميدان زياد وكان قبره يزار.٤٣

سبب موته رحمه الله: فقد ذكر الإمام ابن جوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم سبب موته رحمه الله فقال : أخبرنا عبدالرحمن بن محمد أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال : أخبرنا محمد المقرئ حدثنا محمد بن عبدالله النيسابوري قال سمعت أباعبدالله محمد بن يعقوب يقول : عقد لمسلم مجلس للمذاكرة فذكر له حديث لم يعرفه فانصرف إلى منزله وأوقد السراج وقال لمن في الدار لا يدخلن أحد منكم هذا البيت! فقيل له أهديت لناسلة فيها تمر فقال رحمه الله قدموها إلي فقدموها إليه فكان يطلب الحديث ويأكل تمرة تمرة فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث .قال محمد بن عبدالله أخبرني الثقة من أصحابنا أنه مات منها.٤٤

رحم الله مسلماً، رجلاً أخلص للعلم فوفقه الله في العلم وأبلغه درجة من الدرجات العالية التي لا يصل إليه إلا المخلصون.{ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ }.

---

١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان٩٩/٣ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار إحياء التراث العربي

٢. المرجع السابق

٣. كتاب الوافي بالوفيات٢٨٥/٢٥للصفدي، دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى ١٤٢٢.

٤. جامع الأصول ١/ ١٢١للجزري، دار ابن كثير، الطبعة الأولى١٤٣٢

٥. أعلام المسلمين ص١٧، لمشهور حسن محمود سليمان، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٤.

٦.تهذيب التهذيب ٤٢٧/٥

٧. روايات المدلسين في صحيح مسلم ص٢٤

٨. تهذيب التهذيب ٤٢٧/٥

٩. سير أعلام النبلاء ٥٦٦/١٢

١٠. شذرات الذهب ٢٧٢/٣

١١. أعلام المسلمين ٤٩ الإمام مسلم بن حجاج ص٢٧

١٢. روايات المدلسين في صحيح مسلم ص٢٥

١٣.الديباج على صحيح مسلم بن حجاج

١٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٦٠٤/٩

١٥. المرجع السابق ٦٠٦/٩

١٦. جامع الأصول ١٢١/١

١٧. الأنساب٥٠٣/٤

١٨. روايات المدلسين في صحيح مسلم ص٢٦

١٩. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ٦/١

٢٠. المفهم ١٠٠/١

٢١. مختصر تاريخ دمشق ٢٨٦/٢٤

٢٢. كتاب صحيح مسلم نقلاً عن تهذيب الأسماء واللغات ٢,٩١

٢٣. تذكرة الحفاظ ٥٨٨/٢

٢٤. المرجع السابق ص٥٨٩

٢٥. روايات المدلسين في صحيح مسلم ص٤٦

٢٦. المرجع السابق ص٣٥

٢٧. المرجع السابق ص٣٦

٢٨. روايات المدلسين في صحيح مسلم ص٥١

٢٩. كتاب الوافي بالوفيات٢٨٦/٢٥

٣٠. فتح الملهم ٢٧٧/١

٣١. الموسوعة العربية العالمية٢٧٣/٢٣

٣٢. موسوعة عباقرة الإسلام ص١٢٢

٣٣. فتح الملهم ٢٧٨/١

٣٤. المفهم ٩٨/١

٣٥. موسوعة عباقرة الإسلام ص١٢٢

٣٦. المرجع السابق ص١٢٣

٣٧. فتح الملهم ٢٨٧/١

٣٨. المرجع السابق

٣٩. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ٧/١

٤٠. كتاب الوافي بالوفيات٢٨٥/٢٥

٤١. أعلام المسلمين ص٢٩

٤٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣/ ٩٩

٤٣. أعلام المسلمين ص٢٩

٤٤.المنتظم ٣٢/٥

الطالب المثالي

عارف شيخ جامي

قد دعا رئيسُ الجامعة الشيخ عبدالمجيد عميدَ المعهد للدراسات الإسلامية الشيخ الأمتي أن يلقي خطاباً في افتتاحية جلسة الخطابات للدور النهائي باللغة العربية واستغرقت خطابته حوالي سبع وعشرين دقيقة، فصل الكلام فيها وأطال الحديث حول موضوع مهم ،هو قضية القضايا وحديث النوادي والمجالس وهوموضوع « الطالب المثالي « وما يحتاج إليه من الإخلاص والأدب والتزكية والمراقبة والكفاح والدعاء، ونبه الطلاب بواجباتهم ومواقفهم ومكانتهم الاجتماعية هاكُم تفريغ هذه الخطابة بتصرف يسير:

قال تعالى: ـ أعُوذ بِالله مِن الشَيطَانِ الرَّجِيم ـ « لقَدْ مَنَّ الله عَلى المُؤمِنِينَ إذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِن أنفسِهِم يَتْلُو عَلِيهِم آياتِه ويُزَكِّيهِم ويُعَلِّمُهُم الكِتَابَ والحِكمَةَ وإن كانُوا مِن قَبلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِين»[آل عمران ١٦٤]

الموضوع الذي أحدثكم في هذه الجلسة المباركة هو مسألة الطالب المثالي :

من هو الطالب المثالي والحقيقي؟ هوالذي يلعب دوراً كبيراً في توجيه الأمة وتوجيه الأيام وتوجيه القادة. فما هي العناصر الّتي تكوّن طالباً مثالياً وحقيقياً، حتى يكون زعيماً وقائداً في المستقبل، هو موضوع يسهر لأجله المعلمون والقادة والمشفقون لحال الأمة ولمستقبلها، موضوع هامّ وجدير بالعناية: موضوع يقضي فيه الطالب عمره بالتفكير والعناية ليكون له السعادة والفلاح والنجاح، الطالب لا يمكن أن يتقدم ويصل إلى بغيته المنشودة وهدفه السَّامِي إلا إذا تمسَّك بالعناصر التي نداوم في شرحها الخطاب.

الصفة الأولى التي لابد أن يتمسَّك ويتحلىٰ بها ويعضَّ عليها بالنواجذ هي الإخلاص لله عز وجل فلابد أن يكون الطالب مخلصاً لله عزوجل و مجاهداً في درسه وتعلمه وحركته للوصول إلى الله عزوجل حتى النجاح.

إن الطالب يواجه في مسيره وتحقيق أهدافه صعوبات كثيرة فيشعر بالملل والكسل ويصيب بالخيبة والإخفاق في الأمل وإنّه غافل أن معظم الصعوبات في طريقه إنما يأتي لعدم إخلاصه والطالب إذا كان مخلصاً لا يشعر بالملل والخيبة بل هو نشيط دائماً ، يعمل لأجل تحقيق أهدافه وآماله ويسهر الليالي ولايثنيه شيء، فالمشاكل المزعجة لا تضطربه بل هو يصبر ويكافح جميع المشاكل،إنّ الإخلاص يشحن بطارية الإيمان والمعنوية كالشاحن للجوال ، ويدفع الطالب إلى الأمام و يؤتيه نشاطاً وثقة بالنفس.

كثيراً ما نسمع من الطلبة يشكون بأنهم أصيبوا بالإحباط والفشل أو الكسل، فما هو الحل وبأي وسيلة نتوسل؟ الوسيلة أن نعود إلى الإخلاص في نيّاتنا ونتعاهد بالله عزوجل ونجعل بيننا وبينه عهداً وثيقاً ونطهِّر أنفسنا وبواطننا من الرذائل لأنّ النيات الفاسدة تأتي بالإخفاق والخيبة.

إنّ المجتمع الإسلامي يواجه ما يواجهه الطالب: حينما نراجع إلى حديث سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نشاهد حرصه على إيجاد الإخلاص في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ و روىٰ مسلم عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «إنّ اللهَ لايَنْظرُإلى صُوَرِكُم وأموَالِكُم ولكِنْ يَنْظرُ إلى قُلُوبِكُم وأعْمَالِكُم.» إنّ رحمة الله إذا انخلع عن عبد سيصيب بالإخفاق وسيواجه المشاكل الكثيرة فرحمة الله مع المخلصين و مع الذين أخلصوا وجوههم وأعمالهم وقلوبهم لله عزوجل وسلّوا السيوف وما رأوا إلّا الله عزوجل و قالوا نحن مع الله عزوجل، ولإيجاد الإخلاص طرق عديدة منها: مطالعة كتب الحديث كصحيح مسلم والبخاري وكتب الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ في معرفة الإخلاص وعلاج الرياء.

فما هي حقيقة الإخلاص؟ حتى نجعل أنفسنا في ميزان النقد ثم نصلح مواضع ضعفنا فهل نحن من المخلصين أم مسيرنا وعاقبتنا يؤدي إلى الدمار، يقول الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ أنا ما عرفت الدين، وما عرفت الخير من الشَّر إلاّ بعد المراجعة إلى كتب أبي طالب المكي والحارث المحاسبي .ومنها الاختلاط بالصالحين؛ و الإخلاص ليس شيئاً نقرأه ثم نتعلّمه، الإخلاص شيء يجري مجرى قلب إلى القلب كسريان النار إلى الهشيم .ومنها المراقبة والخلوة مع الله عزوجل، ثم يراقب ما يمضي في ضميره وما في قلبه ويحاسب نفسه ويحافظ على حركاته وسكناته إن أخطأ في النية يؤدّب نفسه ويستغفر وإن نجا من الرياء والنفس يحمد ويشكر الله تعالىٰ، يقول عمر ـ رضي الله عنه ـ «حاسِبُوا أنْفُسَكُم قَبْلَ أنْ تُحَاسَبُوا و زِنُوها قَبْلَ أنْ تُوزَنُوا،وتهيؤوا لِلعَرضِ الأَكبَر ».

الصفة الثانية للطالب المثالي:هي أن يكون تاركاً لليأس والقنوط ويكون متيقّناً بالنجاح في المستقبل، كثيراً ما سمعنا بأنّ الطالب الفلاني تنحّى واعتزل عن الدرس وحينما نقول له لماذا تنحيت عن المسير و بدّلت طريقاً محفوفاً بالأشواك بالطريق المعبّد والسويّ ويقول: ما أيقنتُ بالنجاح لي في المستقبل، ولأجل هذا على كل طالب أن يتوكل على الله تعالىٰ ويجعل بينه وبين

الله صلة وثيقة وعميقة ،ونحن في مسيرنا وفي طريقنا نريد أن نكون كالغزالي وابن تيمية وابن الجوزي بل كالصحابة ـ رضى الله عنهم ـ نقتدي آثارهم شبراً شبراً، لماذا؟ لأنّ الله تعالىٰ جعل السعادة في اتباعهم كما قال تعالىٰ «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُم بِه فَقَد اهْتَدَوا»[بقرة\١٣٧]

إنّ الهدف الذي لا يشابه إيمان الصحابة هدف خاوٍ والصحابة والتابعون ومن اتبعهم هم القدوة، كما وردت أحاديث كثيرة تشجّع الاقتداء بالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

الصفة الثالثة للطالب المثالي هي : الهمة والاجتهاد وعدم إهدار الأوقات وتنظيم برنامج يوميّة حتىٰ في العطلات.

نعم إخوتي في الله قد يضيع كثير من عمرنا مع أنَّ الحياة فرصة آتاها الله تعالىٰ لنا، قال الإمام الشافعي : «صَحِبْتُ الصُّوفِيَّةَ فَاسْتَفَدْتُ مِنْهُم ثَلَاث كَلِمَات :قَولهُم :الوَقْتُ سيْفٌ إذَا لم تَقْطَعه قَطَعَكَ وقَولهُم :نَفْسكَ إنْ لم تَشْغلهَا بِالحَقِّ شَغَلَتْكَ بِالبَاطِلِ وقَولهُم العَدمُ عِصْمَة».

إذا كان الطالب يضع برنامجاً كاملاً ليومه، لساعاته ولثوانيه سيرى النتيجة ولكن إذا ضيّع الأوقات سيكون له الخسران.

الصفة الرابعة :الكفاح والطموح وحمل آمال يحبها الله ورسوله فلابد للطالب أن يحمل هدفاً كبيراً و بقدر الهدف يسعى؛ إذا كان الطالب يريد أن يكون إمام قرية أو إمام مدينة أو إمام محافظة أو مديرية أو أكثرمن ذلك يكون إجتهاده بقدر هدفه فيجب علينا أن نحفظ آمالاً كبيرة، آمالاً تشابه آمال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قولوا لي هل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ احتملوا آمالاً تشابه آمالنا؟ لا،بل الصحابة احتملوا آمالاً بقيت عبرالتاريخ والأزمان.

إنّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ماتوا و فنيت أجسامهم ولكن خلدت ذكراهم وآثارهم.

الصفة الخامسة: رعاية الأدب والاحترام مع قوانين المدرسة، إنّ الطالب لا يمكن أن ينجح في تحقيق أهدافه ويصل إلى بغيته المنشودة وينال مراده إلا بالأدب فإذا لم يتأدب مع من ينبغي أن يتأدب معهم يكون عاقبته الخسران،الطالب المتأدب مع أساتذته ومع زملائه ومع جدران المدرسة حتى مع الكناسين سيكون محط أنظار الأساتذة والدعاء له،كما قيل«الدِّيْن كُلّهُ أدَب إنْ لم نَتَأَدَّب فلا نَصِيبَ لَنَا في الدِّين»:الهدف العالي والنصيب الأوفر يكون للطالب المتأدب،الأدب باطناً وظاهراً ولا يكون ذا وجهين.

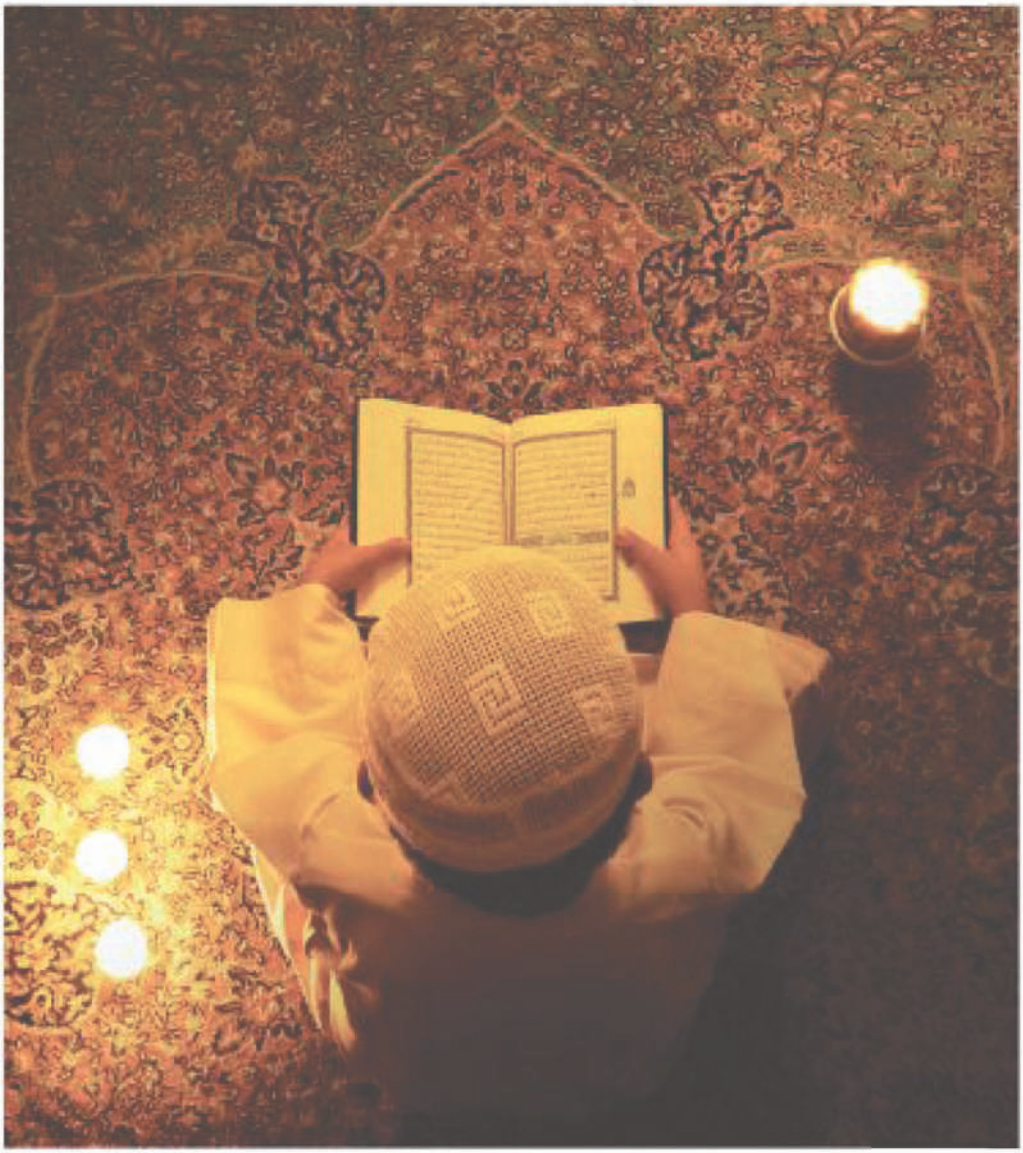

الصفة السادسة :الدعاء والتضرع، إنّ الدعاء هو جسر وقنطرة إلى الله تعالىٰ وصِلة تصله إلى ما يريد ويروم وإن يألُ جهداً ينكسر الجسر ويصير الطريق مسدوداً قال النبي صلى الله عليه وسلم :«إنَّه مَنْ لم يَسْأَل الله يَغْضَبْ عَليه» كما أنّكم عرفتم الحقيقة وعلمتم بنتائجها سيكون النجاح حليفكم و أتمنىٰ أن يؤيدكم الله تعالى و يوفقني وإيّاكم بالتمسك بهذه الطرق.

«والسَّلامُ عَلى مَن اتّبَعَ الهُدَى »

الدنيا عابرة، عليك بالآخرة

الكاتب عبدالمجيد خدادايان

قد بقيت خمسة أيام إلى استهلال العام الدراسي الجديد وإنّي جالساً أرمق إلى سماء الأيام وأرقب طلوع العام الدراسي من وراء جبال العطلة وأبحث عن شيءٍ ألهي به نفسي كي لا يشق علي الانتظار، كنت أسبح في لجة التفكير فأخرجني منها سلام يهدي إليّ محلىً بحفاوة وحرارة لا توصفان قمت فإذا أنا بأستاذي الحنون المكرم المعزز سماحة المفتي الرسولي، فأخذنا معه نجول في شوارع الكلام وأزقّته، فإذا لم يبق شارع إلا وقد جبنا وزقاق إلا وطأناه اقترح الأستاذ لي أن أحرس أرض بطيخ له مساحتها زهاء الهكتارين فلبّيت مطلبه باللسان والجنان ثم حضرت أرضه والشمس على وشك الاستواء على ظهر السماء.

والله إنّي لأصدق، أنّ الحر من فيح الجهنما
حر يضعف الطول في، لسان الكلب فكأنّما
هو نمام والأرض صارت، له دار جزاء وجهنما
فاضحك فإن تكن الآ، نَ بأرضي لتسكتنّ ما
ترى الشمس خلف منصـ صة السماء ترنّما

فاشتغلت في ذلك الحر الذي وصفت لكم فقصرت، بالبحث عن ظلّ يستهلّ لي اجتياز هذه العقبة فاخترت ظلّاً لعمود الكهرباء ثم انطلقت إليه فيا له من ظلّ! أقصر من كفن حمزة، إما أن يترك رأسي أو ينسى رجلي، لاتغضب يا أخي فإنّ التشبيه ليس يقصد فيه كل جنب، إنما يقصد فيه جنب واحد، حسبنا دعوني أمض في كلامي، كان الظل يطوف بالعمود وأنا أطوف معه بالطبع والتبع، لم يمض غير قليل حتى حان وقت صلاة الظهر وجاءت معه مصيبة آخر وهي العثور على ماء يكفيني التوضؤ للصلاة لا أخرج من كارثة إلا وأدخل في أعظم منها، اللهم ما أصنع؟ ما أحضرت معي كسرة خبز وقطعة لحم، ما خطر ببالي الإتيان بالماء، فجأةً، أصابت عيني بالجعفر الممتلئ بثمالة الماء الذي استخدمته أيدي الفلاح سقي الأرضي ووجدته يكفيني لباقي الصلوات كلها، فالحمد لله، بعد ما انصرفت من أداء صلاة الظهر بادرت إلى ذاك الظل لأقضي يومي ذلك تحت إشرافه وفضله وقضيته ولم ألق فيه سارقاً يقوم بنهب بطيخ ولا عابرا يرومه لأسرته، كأني أراك تقول في نفسك أو لمن في جنبك، ما هي الصلة بين العنوان وما قرأناه حتى الآن اصبر فإنّ اليوم قد مضى وستبدأ قصتنا من الغد...

..... لقد نبذت يومي ذلك وأرض البطيخ وراءي وأسرعت إلى الشارع وسرعان ما ضغط على مكبح الموتوسيكل أحد من أبناء قريتي فنزلت عليها ولم يمض غير قليل حتى نزلت منها واشتغلت بشراء ما أحتاج إليه لإقامة مظلة صغيرة ثم صليت العشاء وتناولت العشاء وعدت إلى مبيتي وبادرت إلى الفراش الوثير.

فلما أصبحت تزودت بثلج وماء يكفيني لوضوء يوم فانطلقت باسم الله وتوفيقه إلى الشارع فما ضُغط لي على مكبح إلا وأنا على وشك الدخول في الثالثة من الكيلومترات التي قطعتها برجلي فإذا أنا بشاحنة صغيرة أحاطته جدر عالية، فهل أقطع ثلاث كيلومترات أخرى برجليّ هاتين أم أستجر جسداً يفوق مائة كيلوغرام إلى أعلى تلك الحيطان فاخترت الثانية على الأولى وإن استويا في الصعوبة فلما نزلت فيها كان همي الوحيد أن أجد طريقاً لأن أهوي منها فأغلقت عينيّ واقتمحت هذه العقبة فلم ألق إلا ألماً قليلاً في رجلي وخجلاً يسيراً في وجهي ثم بدأت بإقامة المظلة وشددت الخيوط بعمودين وملأت الحشو بينهما بالكراتين وتأخرت عنها قدمين لألقي عليها نظرة فكأنّي أرى حبالاً لعنكبوت تورطت فيها بعض الهوامّ، ولكن ما كان أمامي إلا أن أجلس في ظلّها، ظلّ لا ظليل ولا يُغني من اللهب، قلت: لايغنيني هذا الظل من الحر شيئاً فعليَّ أن أشتري ما أتمكن بها من إقامة مظلّة عالية يبسط عليّ ظلاً يقيني من هذا الحر ولكن كان يريبني في ذلك غلاء ما أحتاج إليه لهذا الأمر فخاطبت نفسي ما أجهلك! أتظن أنّك خالد تحت هذا الظل، بل تمكث عنده أياماً ما ثم تنطلق لشأنك وتترك هذه المظلة تستريح تحتها الذئاب والكلاب، تجلس عليها النسور، والصقور، وتذرق عليها للغربان، وتستوطن حيطانها الديدان أوَ تفعل هذا مع أنّك تعلم أنّ مكثك ههنا لا يزيد على أربعة أيام أو خمسة؟ ألا تدري أنّ هذه الأرض ليست لك بمملوك بل إنّما هي أمانة في يدك، دعي يا نفس هذا واصبري على ما تلقى ثم خذي أجرك وأنفقيه على بيت تريدين أن تعيشي فيه سنيناً مع زوجتك وأولادك لو أردت أن تودعي في هذه المظلة لا تصاحبك إلا أياماً أكثر ما تسلمين لخسرت خسراناً مبيناً، فما تركت نفسي إلا وهي راضية بما ألهمت إيّاها، مضت على تلك الحال ساعة أو ساعتان وقد انطفأت نار مخاصمة بيننا فخاطبتها مرة أخرى وقلت لها ما أشبه شأنك ذلك بشأن من يستخدم طاقاتها حتى الثمالة ليعمر دنياه وهو فاعل عن عمران دار التي عليه أن يعيش فيها إلى الأبد، داره التي بابها الموت، ما وطأ الأرض أحد إلا وقد دخله، باب لا مفر من دخوله، فإذا قرب من ذلك الشخص أحد، ليدعوه إلى العمل للآخرة اتقد، وقال لا أدع العاجل للآجل إنّي لست لذلك بفاعل، تولّ وابحث عن آخر، لعله يخشى أو يتأثر فتولى الداعي واستغفر، وطلب الهداية لمن استكبر، وزعم أنّه الأعقل الأذكى، وأن الداعي هو الأخرق الأعبى، نعم يا أخي تيقن أن من صار همّه الوحيد، الأراضي والحصيد، إنّه هو البليد، يسلب القائم والحصيد، بشره بما جاء في حقه من الوعيد، والإقران والتوهين والتهديد.

..... نعم يا أخي ما أشبه شأن هذا الرجل بشأني وقد أردت أن أستفرغ جهدي و طاقتي بأسرها لأصنع مظلّة لبضعة أيام وقد غفلت عن بيتي الذي هو مبيتي ومسكني حتى أقبض فمن علم أنّ يوماً من الآخرة تعادل خمس مائة سنة من الدنيا سيعلم أنّ عمره كله يعادل ساعتين من الآخرة فكيف يكبر ويستعظم الدنيا إذا تفكر في أيام من الآخرة.

ثم بعد ذلك على سبيل الفرض والمحال لو علم ذلك ولم يثن اليه عنان العناية فقد احرز قصبة السبق فى مجال الحماقة من هبنقة ثم ان ما عملت انا بما قلت وحسبتنى لم افتقر الى النصح فقد احرزته منهما وصرت المجلى فى ذلك المجال فاعاذنى الله من قول لا يتبعه عمل ومن عمل لايستجلب حسن البدل ، ومن عمل مشوب بخلل ، يفسده كما يفسد الصبر العسل واختم كلامي وقصتي بآية وشعر« فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون »

دع الدنيا توادد من تشاء ... فكم من خلانها ذهبوا وجاءوا
تُنال بها المرافق و النعيمُ ... ولكن ليس من شيمتها الوفاءُ
لقد بيضت فيها الشعور ولكن ... ستترکک إذا اشتد البلاءُ
ليُرجى الخل لإن يكون ركنا ... فتأوي إليه إذا اقتضت القضاءُ
فما حسن خليلة ليست بركن ... بل اتخذتک مركبا لمّا تشاءُ
دعوها تحتضن المنهومين فيها ... فما للقانعين في ثدييها رجاءُ
فنحن بالحور العين اقتنعنا ... فما تملأ عينينا النساءُ
لقد ابتعنا القائم والحصيدا ... فنعم شراءً يا أخى ذاک الشراءُ
فما أرخص ما أعطينا ولكن ... لقد انتهى في الثمن الغلاءُ

فتاوى الأنوار

حسين فقهي

١.متى وعلى من تجب الأضحية؟ وكم يوماً تجوز الأضحية؟ وهل على المرأة أن تضحي؟

١. وقت الأضحية يدخل بطلوع الفجر من يوم النحر إلا أنه لا يجوز لأهل الأمصار الذبح حتى يصلي الإمام صلاة العيد فأما أهل السواد فيذبحون بعد الفجر.

٢.الأضحية واجبة على كل حر مسلم مقيم موسر في يوم الأضحى عن نفسه وولده الصغار؛ يذبح عن كل واحد منهم شاة أو يذبح بدنة أو بقرة عن سبعة، وليس على الفقير والمسافر أضحية.

٣. وهي جائزة في ثلاثة أيام : يوم النحر ويومان بعده.

٤. نعم إذا كانت المرأة ذات يسار كما ذكر صاحب الدر المختار في شرائط الاضحية،

وشرائطها: الإسلام والإقامة واليسار الذي يتعلّق به) وجوب (صدقة الفطر) كما مرّ (لا الذكورة فتجب على الأنثى) الدرالمختار ٦٢٤/٥

٢. اذكروا نبذة من العيوب التى لا تجوز الأضحية معها

ولا يضحي بالعمياء والعوراء والعرجاء التي لا تمشي إلى المنسك ولا العجفاء ، ولا تجزئ مقطوعة الأذن والذنب ولا التي ذهب أكثر أذنها، فإن بقي الأكثر من الأذن والذنب جاز؛ ويجوز أن يضحي بالجماء والخصي والجرباء والثولاء .

٣. ما هي الأعضاء المحرمة التى لا تؤكل من الحيوان؟

تحرم من الحيوان سبعة اعضاء ١.الدم المسفوح ٢. الذكر ٣. الحياء ٤. البيضة ٥. المثانة ٦. المرارة ٧. الغدد

و في الدر المختار: ما يحرم أكله من أجزاء الحيوان المأكول سبعة: الدم المسفوح والذكر والأنثيان والقبل والغدة والمثانة والمرارة ٢٨٩/٥

كما جمعها الشاعر فى بيت: إذا ما ذكيت شاة فكلها سوى سبع ففيهن الوبال/ فحاء ثم خاء ثم غين و دال ثم ميمان و ذال

فالحاء: الحياء والخاء: الخصية والغين: الغدة والدال: الدم والميمان: المرارة والمثانة، والذال: الذكر

٤. ما رأيكم في شخص أعطى فقيراً أضحيته حتى يذبح ويأكل من لحمه ثم أخذ الفقير الأضحية ولم يذبحه بل باعه. هل الوجوب سقط عن مالك الأضحية أم لا؟ وماذا يفعل إذا لم يسقط عنه؟

الأضحية واجبة عليكم والمقصد منها إراقة الدم فإذا دفعتها وكالة حتى يذبح وخان الفقير ولم يذبح وباعه يلزم عليكم التصدق بقيمتها.

وَلَوْ تُرِكَتْ التَّضْحِيَةُ وَمَضَتْ أَيَّامُهَا تَصَدَّقَ بِهَا حَيَّةً ..... تَصَدَّقَ بِقِيمَتِهَا غَنِيٌّ شَرَاهَا أَو لا لِتَعَلُّقِهَا بِذِمَّتِهِ بِشِرَائِهَا أَوَّلًا، فَالْمُرَادُ بِالْقِيمَةِ قِيمَةُ شَاةٍ تُجْزِي فِيهَا . رد المحتار ٢٢٦/٥

العجفاء وهي المَهْزولةُ من الغنم

شاة جَمَّاءُ إذا لم تكن ذات قَرْن

الجَرَبُ معروف بَثْرٌ يَعْلُو أَبْدانَ الناسِ والإِبلِ جَرِبَ يَجْرَبُ جَرَباً فهو جَرِبٌ وجَرْبان وأَجْرَبُ والأُنثى جَرْباءُ والجمع جُرْبٌ وجَرْبى وجِرابٌ

الثُّوَل بالتحريك شِبْه جُنون في الشاء يقال للذكر أَثْوَل وللأُنثى ثَوْلاء وقال الجوهري هو جنون يصيب الشاة

الحَيَاءُ ممدود الفرج من ذوات الخُفِّ والظِّلْف وجمعها أَحْيِيَة

روائع من أدب العرب

الشعرة البيضاء

مررتُ صباح اليوم أمامَ المرآة فلَمحتُ في رأسي شعرةً بيضاء تلمعُ في تلك اللمّة السوداء لمعانَ شرارة البرق في الليلة الظلماء. رأيتُ الشعرة البيضاء في فَودَيّ فارتعتُ لمرآها. كأنّما خيّل إليّ (أنّها سيفٌ صقيلٌ) جرّده القضاءُ على رأسي... أو خيطٌ من خيوط الكفن الّذي تنسُجُه يدُ الدهر، وتعدّه لباساً لجثّتي عندما تجرّدها من لباسها يدُ الغاسل.

أيّتُها الشعرة البيضاء! لا ينفعني معكِ أن أنزعك من مكانك، لأنّك لا تلبثين أن تَعودي إليه، ولا يُنصفُني منك (أن أخضبك) بالسواد لأنّك لا تلبثين أن تَنصَلي، ولأنّي لا أحبّ أن أجمع على نفسي بين مصيبتين، مصيبة الشيب ومصيبة الكذب.

أيّتُها الشعرة البيضاء! يخيّل إليّ أنّك تهمسين في آذان أخواتك السودِ اللواتي بجانبك، تحاولين إغراءهنّ بالتشبّه بك، والتردّي برداءك...

أيّتُها الشعرة البيضاء! هل لكِ أن تتجاوزي عمّا أسأتُ به إليك في إطالة عتبك... هنيئًا لك رأسي مصيفاً ومرتعاً، وهنيئًا لك فودي مراداً ومسرحاً. فأنت رسول الموت الّذي ما زلتُ أطلبه مذ عرفتُه، فلا أجد إليه سبيلاً، ولا أعرف إليه رسولاً.

أيّتُها الشعرة البيضاء! مرحباً بكِ اليوم ومرحباً بأخواتك غداً؛ ومرحباً بهذا القضاء الواقف وراءَك أو الكامن في أطوائك؛ ومرحباً بتلك الغرفة الّتي أخلو فيها بربّي آنسُ فيها بنفسي، من حيث لا أسمع حتّى دويّ المدافع، ولا أرى حتّى غبار الوقائع. {مصطفى المنفلوطي}

المصطلحات والتعابير

القَولُ الفارغُ: سخن بيهوده

الهِراوَات الحديثة: چماق هاى مدرن

البُوظَة: بستنى

الغازات المُسيلة للدموع: گاز هاى اشک آور

شرطَةُ مكافحة الشغب: پليس ضد شورش

المتظاهرون: تظاهر كنندگان

الاشتباكات: درگيريها

في العشرينات والثلاثينات: در دهه هاى بيست و سى

التقارير: گزارشها

التمييز العُنصُري: تبعيض نژادى

التَّضَخُّم: تورّم

ذَبذَبة الأسعار: نوسان قيمتها

الضَّجيج الإعلامي: هياهوى تبليغاتى

أسلحة الدِّمار الشامل: سلاح كشتار جمعى

إدَانةٌ: محكوم كردن

النَّزيف: خونريزى

الجَلطة الدماغيّة: سكته مغزى

ناهيک: كافى است تو را

التكديس: انباشتن

بالمقارنة: در مقايسه

من درر الكتب: الأركان الأربعة ورسالة المسترشدين

الأركان الأربعة:

قد قام بتأليف هذا الكتاب، العالمُ الكبير والداعية الكبير العلامة أبوالحسن الندوي رحمه الله تعالى؛ أبصر النور٦ محرم١٣٣٣هـ الموافق عام ١٩١٤م بقرية «تكيه كلان» الواقعة قرب مديرية «رائي بريلي» في الولاية الشمالية أترابرديش.

إنكم تعرفون هذه الشخصية بتأليفاته النيرة وخطاباته الجميلة ولا يحتاج إلى ترجمته ولكن أذكر لكم بما وصفه عبدالفتاح أبوغدة ـ رحمه الله تعالى ـ حوله هو قال: هو عَلَم من أكابر أعلام العصرالربانيين وقدوة صالحة موهوبة من أشهر العلماء الداعين، الهادين، المفكرين، هو العلامة الجليل والمجاهد النبيل الداعية إلى الله بحاله ومقاله وفعاله، إذا كتب أو خطب غذى القلوب والأرواح ونور العقول والأذهان. إن هذا الكتاب الذي بين يديكم قد يسمى بالأركان الأربعة التي هي أهم كتب لمعرفتها؛ قد يتحدث فيه عن الأركان الأربعة الصلاة والزكاة والصوم والحج، عن وضعها السماوي وحقيقتها الشرعية وتشريعها في الإسلام ومكانتها في الدين وفي الحياة الفردية والاجتماعية وعن مقاصدها وأسرارها كما قررها الكتاب والسنة وفهمها المسلمون في القرون المشهود لها بالخير والمتمسكون بلباب الدين والراسخون في العلم في مختلف العصور والأجيال في غيرتكلف عجمي، وتنطع فلسفي وتطرف شخصي وفي غير خضوع لأفكار أجنبية واتجاهات عصرية وفي غير إخضاع للفلسفات السياسية والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية السائدة في عصورهم وأمصارهم.

ولم يتعرّض فيها لأحكامها ومسائلها الفقهيّة وإنّما تحدّث فيها عن طبيعتها وروحها وثمراتها وما فيها من تأثير في تعزيز صلات البشر بربّ العالمين، مع مقارنة بين الإسلام والديانات الأخرى في هذه الناحية.

وبعثه على هذا التأليف ما كان يشعر به من مدّة طويلة من اضطرابات الآراء والكتابات في تفسير هذه الأركان ومقاصدها وغاياتها وفوائدها ومصالحها في هذا العصر، وإخضاعها في جراءة كبيرة وتوسع وسخاء للفلسفات العصريّة والمذاهب الاقتصاديّة والسياسيّة ومصطلحاتها وتعبيراتها المحدودة حتّى كادت هذه الأركان في عقول من آمن بهذا التفسير وخضع لهذا العرض: تفقد حقيقتها وقوّتها وتضيّع مقاصدها الّتي شرعت لأجلها وكاد معنى الإيمان والاحتساب يضيع من بين هذه التعبيرات المادية والتفسيرات العصريّة.

اعتمد المؤلّف في شرح هذه الأركان وبيان حكمها ومصالحها ومقاصدها وأسرارها على القرآن الكريم ومصادر السنّة ودواوينها الصحيحة وعُنيَ بصفة خاصّة بكتابات الأئمّة الّذين شرح الله صدورهم لفهم مقاصد الإسلام وروحه، والوصول إلى أعماقه وكان أكثر استفادته من كتاب «حجّة الله البالغة» للإمام أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي كما أنّه أضاف إليها بعض ما وفّق إليه من معان واستفاد من كتابات المعاصرين.

رسالة المسترشدين:

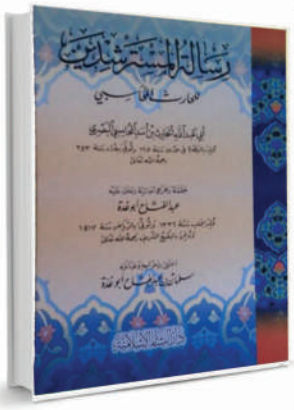

إن هذه الرسالة قد ألّفها الإمام العابد الزاهد الصالح الناصح الأمين، أبوعبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، البصري المولد، البغدادي المنزل والوفاة، عرف بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه، ولد في حدود سنة ١٦٥و مات ببغداد سنة ٢٤٣ـ رحمه الله تعالي ـ .

كان الإمام المحاسبي من الرعيل الأول من الصوفية الصادقين وكان إماماً في الحديث والفقه والكلام وله في علومها عدة كتب ومصنفات وأكثرها في التصوف وتهذيب النفس والزهد وآداب السلوك.

فمن أشد ما يحتاج إليه الناس في هذا العصر، العناية بالروح والفهم للدين والعمل به، وقد تهيّأ هذا للسلف الصالح على الوجه الأوفى، فطاب مجتمعهم وصلح سلوكهم وكثر خيرهم وقل شرهم وكسبوا لأنفسهم في دنياهم وأخراهم خيراً. وقد ترك السلف الصالح آثار خير وعلم ترشد التائهين وتردهم إلي الجادة إذا ضلّوا الطريق، فألفوا الكتب والرسائل في فضائل الأعمال وتزكيتها وإصلاح النفس وتنقيتها ترغيباً وترهيباً لأن التصوف هو علم وحكمة وتبصرة وهداية وتربية وتهذيب وعلاج ووقاية وتقوى واستقامة وصبر وجهاد وفرار من فتنة الدنيا وزينتها وابتعاد. ومن أطيب ما ترك السلف الصالح للآخرين آثار الإمام الشيخ أبي عبدالله المحاسبي رحمه الله تعالى ونور الله مرقده.

قد ترجمت هذه الرسالة إلى اللغة التركية بيد الأخ الفاضل الأستاذ علي الأرسلان واتخذت في عدد من المعاهد العلمية في بعض البلدان العربية وغير العربية كتاب أخلاق دراسي للشباب والبنات فانتفع بها جمّ غفير.

إن موضوع هذا الكتاب هو تزكية وتذكير ووعظ وتبصير وتخلية وتحلية؛ فلا يحتاج الكتاب فيه إلى مثل هذا التدقيق الشديد في الحروف والكلمات.

تتضمن الرسالة بالإرشاد والتوجيه أو النهي والتحذير ليكون ذلك أرجى قبولاً في النفوس وأدفع إلى العمل والامتثال وأطيب على القلب والفكر من الأمر أو النهي الصريح المباشر.

قد سلك أبوعبدالله في بعض كتبه مسلك الإطناب الإسهاب حتى لم يدع زيادةً لمستزيد وسلك في بعضها مسلك الجزالة والإيجاز مكتفياً بقصيرالكلام عن طويله وبقليله عن كثيره اعتماداً منه على توجه نفس المسترشد المستوصف، المستهدي المتلهّف.

أودع هذه الرسالة:غالي النصح وأطيب الإرشاد وأوفى الموعظة وأجلى التنبيه والإيقاظ وأخلص القول والبيان والتوجيه في جمل مكتوزة بالعلم والمعاني، تفهم سريعاً وتُقرأ سريعاً ولكن لا يستفيد منها قارئها تمام الفائدة إلا إذا قرأها في أناة وتدبر تام جملةً جملةً كالذي يكرر الشيء ويتأنّى به ليحفظه ويستظهره ويتدبره.

من خطب الجمعة

التعريب: ياسر غلامي

خطب فضيلة الأستاذ علي رضا الرسولي؛ في خطابته خلف منصّة الجمعة بعد ما تلا الآية الكريمة: «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ» {الغافر: ٧}. وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «كل بني آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون»، وقال في مقام آخر:«والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم» {صحيح مسلم:٢٧٤٩}.

بسم الله الرحمن الرحيم؛ سادتي الأعزّة والمصلّون الأكارم، إنّ الله تعالى جعل الدنيا دار الأسباب، أعني من كان يريد حرث الدنيا، فيجب عليه أن يختار أسبابها ليصيبها، ثم أضاف: إنّ الأسباب تنقسم إلى نوعين: الأول:الأسباب المادية، والثاني: الأسباب المعنويّة، أعني كما يجوز للإنسان أن يتمسك بالأسباب المادية ليصل إلى ما أراد، فيجوز له أن يتمسك بالأسباب المعنويّة للصلة إلى أهدافه، بل هو أحسن، لأنّ الله تعالى حرّض المؤمنين على اختيار الأسباب المعنويّة، ووعدهم إيّاها بالخيرات والبركات في الدارين؛ فمن الأسباب المعنويّة هو الاستغفار، من حيث وعد الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو أكبر سبب لتفرّج المشكلات والمصائب التي لا مندوحَة عنها.

ثم ذكر الأستاذ أنّ من يزعم أنّ الاستغفار خصّيص للمذنب فقط؛ إذن تقع مشكلة في عصمة الأنبياء لأنهم كانوا يستغفرون الله دوماً ولكنّ الله قد صانهم من الذنوب كلّها، فدون الأنبياء، ألا يرتكب الناس الذنوب، كما جاء في الحديث: «كل بني آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون»، وأيضاً في مقام آخر:«والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم».

فمهما يكن من أمر؛ إنّ الاستغفار هو سنّة الأنبياء، مأثورة عنهم، فعلى سبيل المثال كان أبونا آدم ـ عليه السلام ـ يقول:«ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين» {أعراف: ٢٣}، وأيضاً نبيّنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان يستغفر الله ويحرّض قومه عليه، وأيضاً نبيّنا موسى ـ عليه السلام ـ حينما ارتكب القتل خطأً قال: «ربّ إني ظلمت نفسي، فاغفر لي، فغفر له إنّه هو الغفور الرحيم» {القصص:١٦}. وكذلك نبينا داود ـ عليه السلام ـ استغفر ربّه، وإمام الأنبياء رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ كان يستغفر في جلسة سبعين مرّة إلى مائة مرّة، ويقول: «ربّ اغفر لي وتب عليّ إنّك أنت التوّاب الرحيم».

ثمّ أضاف: إنّ الاستغفار صفة من صفات المؤمنين، كما ذكر الله تعالى: «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون» {الذاريات:١٨ـ١٧}. فمن كان يريد حرث الآخرة فليستلزم الاستغفار صباحاً ومساء، ثم ذكر من فوائد الاستغفار:

١ـ الاستغفار سبب لضياء القلب

٢ـ يأمن المستغفر من عذاب الله

٣:تسهل العبادة على المستغفر

٤ـ الاستغفار سبب لنزول الرحمة،(لولا تستغفرون الله لعلّكم ترحمون) {النمل:٤٦}

٥ـ سبب لنزول المطر(يرسل السماء عليكم مدراراً)

٦ـ سبب لإمداد الله تعالى بالأولاد.

ثم ذكر الأستاذ في نهاية خطابته أنّ الله تعالى قد جعل خير الدارين في الاستغفار، فاستغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً.

AL-ANVAR

journal of: HOZE ELMI YE ANVAROL OLOOM
KHEYR ABAD . TAYBAD
OCTOBER 2013

ترحب المجلة باقتراحات المفكرين و أصحاب اليراع في حركتها نحو إيجاد الوعي و الصحوة الإسلامية في الأمة، و تستدعي مساهمة جميع الكتّاب و أصحاب القلم في دورها الثقافي.